



ميغيل آسين بلاثيوس

MIGUEL ASIN PALACIOS (1871-1944)

رائد الاستعراب الإسباني المعاصر

محمد عبدالرحمن القاضي

كتاب
المجلة
العربية

167

المجلة العربية

رئيس التحرير
د. عثمان بن محمود الصيني

الرياض - طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) - شارع المنفلوطي

هاتف: 4778990 - 4779792 فاكس: 4766464

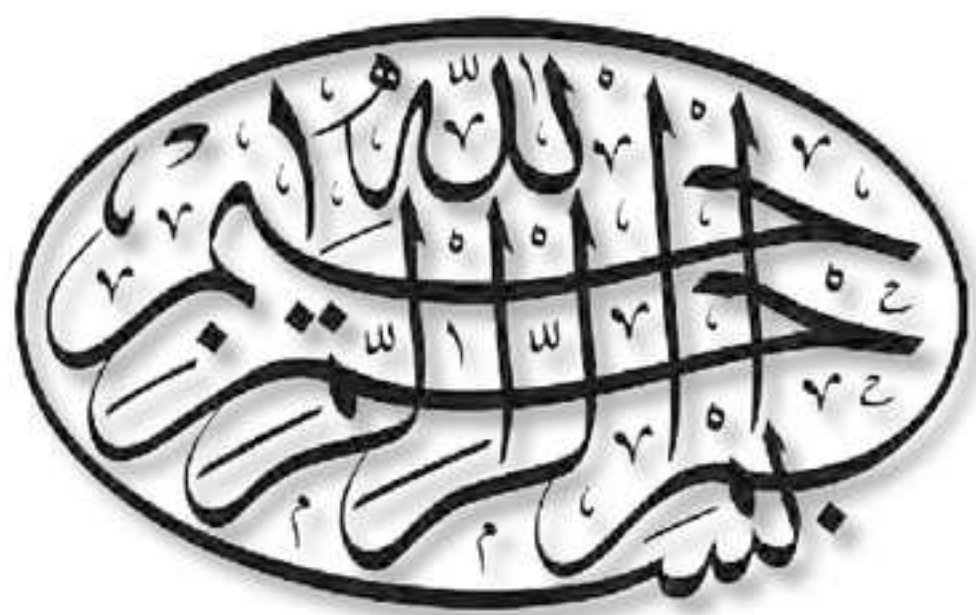
ص.ب 5973 الرياض 11432

المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com - info@arabicmagazine.com

ميفيل آسين بلاثيوس
MIGUEL ASIN PALACIOS
1871-1944 م

رائد الاستعراب الإسباني المعاصر



المجلة العربية 1431هـ

ح

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاضي، محمد

ميغيل آسين بلاثيوس: رائد الاستعراب الإسباني المعاصر /

محمد القاضي - الرياض، 1431هـ

72 ص، 21x14 سم

(سلسلة كتاب المجلة العربية، 167)

ردمك: 978_603_90180_4_9

1 - الاستعراب 2 - الاستشراق 3 - الثقافة العربية - إسبانيا

/ العنوان

ديوي 301.02950946 1431/8655

رقم الإيداع: 1431/8655

ردمك: 978_603_90180_4_9

المحتوى

الفصل الأول:

8 تحديد المصطلح.. استشراف أم استعراب؟

الفصل الثاني:

14 الاستعراب الإسباني وتطوره

الفصل الثالث:

26 ميغيل آسين بلاثيوس.. قمة الاستعراب الإسباني المعاصر

الفصل الرابع:

30 بلاثيوس والفلسفة الإسلامية

الفصل الخامس:

50 آسين بلاثيوس والأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية

الفصل الأول

تحديد المصطلح.. استشراق أم استعراب؟

يرفض الكثير من الإسبان المهتمين بالدراسات العربية والإسلامية نعتهم بالمستشرقين، ويفضلون بدلها كلمة (الاستعراب) ARABISTAS؛ نظراً لأنهم كلهم نذروا حياتهم لدراسة اللغة العربية وآدابها وحضارة المسلمين وعلومهم في شبه الجزيرة الأيبيرية بصفة خاصة، دون أن يهتموا بلغات شرقية أخرى كالفارسية والتركية والأردية وغيرها، إلا ما كان من طرف بعض الباحثين المعاصرين وهم قلة. ويلح المستعرب بيدرو مارتينث مونتابيث على استعمال: كلمة (الاستعراب) ARABISTA؛ لأن الدراسات التي بدأت في إسبانيا وازدهرت منذ وقت طويل كانت الدراسات العربية، ولا توجد منذ بداية هذه الدراسات دراسات في التركية وفي الصينية والهندية وكلها تدخل في الاستشراق⁽¹⁾.

ويرى الدكتور محمود صج «أنه يجب التمييز بين المستعربين والمستشرقين في إسبانيا، فالمستعربون هم الذين يهتمون بالدراسات العربية الإسلامية وبخاصة الأندلسية منها، والمستشرقون هم من يهتمون بقضايا الشرق على العموم وبخاصة قضايا الشرق الأقصى»⁽²⁾.

(1) الاستجواب الذي أجرته معه مجلة الوطن العربي، عدد 328 - يونيو 1983، صفحة 73.

(2) الاستجواب الذي أجرته معه مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد مزدوج 4/5 سنة 1980، ص 165.

وإن نظرنا للتأريخ فإننا نجد أن الاستعراب استعمال قديم، استعمله ابن الفرية وهو من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، وقد قال لما سأله الحجاج عن أهل البحرين: نبط استعربوا، قال: فأهل عمان، قال: عرب استنبطوا، وذلك يكون إما لغة أو انتساباً أو لعلاقة أخرى⁽¹⁾.

أما في الأندلس فقد أطلقت كلمة (المستعربة أو المستعربين MOZARABES) على العناصر المسيحية التي استعربت في لغتها وعاداتها، ولكنها بقيت على دينها محتفظة ببعض تراثها اللغوي والحضاري، وقد كفلت لهم الدولة الإسلامية حرية العقيدة فأبقت لهم كنائسهم وأديرتهم وطقوسهم الدينية التي كانت تقام باللغة اللاتينية، كما كان لهم رئيس يعرف بـ(القومس GOMEZ) وقاضٍ يعرف بقاضي العجم أو النصاري، يفصل في منازعاتهم بمقتضى القانون القوطي⁽²⁾.

وقد وصف (ألبارو - ALVARO) الوضع ونفسه تقطر حزناً وألماً فقال: «إن إخوتي في الدين وأبناء رعيتي يتذوقون الأشعار والروايات العربية ويتعمقون في دراسة الفلاسفة المسلمين، وليت انصرافهم هذا يؤدي إلى مساعدتهم على دحض المذاهب الإسلامية أو الرد عليها،

(1) مجلة دعوة الحق، عدد: 7، السنة 13، 1970، ص 23. (من أطوار الاستشراق ومراميه) الأستاذ محمد الطنجي.

(2) مجلة عالم الفكر، عدد: 2، 1979، ص 94. (الإسلام في الأندلس) أحمد مختار العبادي، وانظر كذلك كتاب محنة العرب في الأندلس، د. أسعد حومد، ص: 121 المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان.

بل على العكس لكي يتمكنوا من هذه اللغة ومن آدابها وليجيدوا استعمالها أحسن فأحسن.. أين نجد الآن علمانياً واحداً نصرانياً يقرأ الأناجيل أو حياة القديسين وأعمال الرسل والأنبياء؟ أه ويا للأسف إن الشباب المسيحي الذي تميز بذكائه وعبقريته لا يجد اللذة والمتعة الروحية إلا في قراءة الكتب العربية وآدابها، فينفقون الأموال الطائلة على شراء هذه الكتب وتشكيل مكتبات ضخمة، وينادون على رؤوس الأشهاد: أن لا آداب توازي الآداب العربية.. كلموهم عن الكتب المسيحية يجيبونكم بازدراء: أنها لا تستحق الانتباه.. أه ما أتعسنا، إن المسيحيين منا قد نسوا لغتهم، وبين ألف شخص منهم لا يوجد واحد يحسن كتابة رسالة إلى صديقه باللغة اللاتينية، ولكن إذا طلبته للكتابة باللغة العربية أجاد كل الإجابة بحيث أن الكثيرين من إخواننا في الدين يحسنون اللغة العربية أفضل من العرب أنفسهم»⁽¹⁾.

ولقد لعب هؤلاء دوراً مهماً في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى الممالك المسيحية بشمال إسبانيا وجنوب فرنسا، وكانوا أداة وصل بين شطري إسبانيا، ولم ينقطعوا عن التنقل بين أراضي المسلمين وأراضي النصارى في الشمال، فعملوا بذلك على نشر الثقافة الإسلامية بين أهل الشمال وبخاصة عن طريق ترجمة كتب المسلمين، وشاركهم في ذلك اليهود حيث اضطلعوا بدور كبير في ترجمة المصنفات العربية إلى

(1) د. سيمون الحايك، عبدالرحمن الأوسط، ص: 166 و 167 - المطبعة البولسية - بيروت

اللاتينية والقشتالية، مما جعل الفقيه الأشبيلي ابن عبدون - في القرن الثاني عشر الميلادي - يدعو إلى أنه «لا يباع من اليهود ولا من النصارى كتاب علم إلا ما كان من شريعتهم. فإنهم يترجمون كتب العلوم وينسبونها إلى أهلهم وأساقفتهم، وهي من تواليف المسلمين»⁽¹⁾. ومع مرور الزمن تطور مفهوم (الاستعراب) وأصبح ذا طابع علمي «يختص بدراسة حياة العرب وما يتعلق بهم من حضارة وآداب ولغة وتاريخ وفلسفات وأديان، وله أصوله وفروعه ومدارسه وخصائصه وأتباعه ومنهجه وفلسفته وتاريخه وأهدافه، والمستعرب عالم ثقة في كل ما يتصل بالعرب، هو من تبحر من غير أهل العرب في اللغة العربية وآدابها وتثقّف بثقافتها وعني بدراساتها»⁽²⁾.

(1) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص: 57 - مجلة رسالة الجهاد الليبية، عدد: 57، 1987، ص: 84 الإسلام في الأندلس وصقلية وأثره في الحضارة والنهضة الأوربية إعداد قسم البحوث والدراسات بالمجلة. وانظر منير البعلبكي، المورد، صفحة 58، دار العلم للملايين، بيروت.

(2) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، الدكتور سمايلوفتش ص: 34، دار المعارف، 1980.

الفصل الثاني

الاستعراب الإسباني وتطوره

أسدى الاستعراب الإسباني خدمات جليلة لا تقدر بثمن إلى الثقافة العربية والإسلامية والحضارة العربية الأندلسية بصفة خاصة، وذلك بفضل الاتصال الذي عرفته إسبانيا أيام الوجود العربي الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية لمدة ثمانية قرون، كانت فيها اللغة العربية لغة علم وحضارة، انطلاقاً من السلطان السياسي المستقل الذي مهد لهذا السلطان الحضاري الشامل الذي جعل من إسبانيا أمة أوربية ذات خصائص متميزة. يقول المستعرب الإسباني (بيدرو مارتينيث مونتابيث): «إن إسبانيا ما كان لها أن تدخل التاريخ الحضاري لولا القرون الثمانية التي عاشتها في ظل الإسلام وحضارته، وكانت بذلك باعثة النور والثقافة إلى الأقطار الأوربية المجاورة المتخبطة آنذاك في ظلمات الجهل والامية والتخلف»⁽¹⁾.

وإذا كان القرن الثالث عشر الميلادي قد عرف ملكاً عالماً وحكيماً هو ألفونسو العاشر الذي جعل الاستعراب يؤلف جزءاً من التراث الثقافي الإسباني⁽²⁾؛ فإن القرن الذي تلاه عرف تأسيس شعبة الدراسات اللغوية (عربية، كلدانية، عبرية) بجامعة سالمنكا العريقة التي أعطت ثماراً عن اللقاء الثقافي العربي الإسباني، حيث تجلت في كتاب (دون

(1) انظر كتاب (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية) الجزء الثاني، ص: 277 مكتب التربية العربي لدول الخليج - 1985م.

(2) انظر دراستنا عن (طليطلة ومدرسة المترجمين الأولى للاستعراب الإسباني) مجلة (التاريخ العربي - عدد: 15 / ص: 91 إلى 106.

خوان مانويل (Don juan manuel) (الكونت لوكانور EL CONDE LUCANOR) وفي كتاب (الحب الجميل Libro de Buenamor) لخوان رويث قسيس هيتا Juanruiz, Arcipreste de hita . لوكانور El Conde lucanor.

ومع بداية النهضة الأوربية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر (العصر الذهبي للنهضة الأدبية الإسبانية) خفت حركة الترجمة، واعتنت الجامعات الإسبانية خصوصاً بدراسة اللغة العربية ونشر القواميس اللغوية، واعتني كذلك لأول مرة بتصنيف المخطوطات العربية في قصر الأسكوريال.

وقد جرت محاولات كثيرة لتنسيق هذه المخطوطات وتبويبها، فقد قام البروفسور دييغو دي أوريا - بعد موت ملك إسبانيا فيليب الثاني عام 1598م - بفهرسة المكتبة، وانتهى من إعداد فهرسه عام 1600م، كما قام المستشرق الأسكتلندي دافيد كولفيل عام 1626م بتنظيم المخطوطات العربية في مكتبة الأسكوريال خاصة مجموعة هورتاد ودي ميندوثا، حيث قام بفهرستها ووصفها وصفاً مسهباً، وكتب ملاحظاته باللغة اللاتينية عليها، ولكن لوحظ أن ملاحظاته التي سجلها على مجموعة السلطان مولاي زيدان كانت شديدة الإيجاز، ولا تشير إلى العنوان والمحتوى في كلمات قليلة سجلها في الركن الأسفل من كل مخطوط.

وفي عام 1748م وصل إلى مدريد الراهب اللبناني ميخائيل الغزيري

أو Casiri كما تدعوه المصادر الغربية، وذلك بدعوة من الحكومة الإسبانية للعمل في حقل الترجمة في المكتبة الملكية بمدريد، و مترجماً للملك للغات الشرقية.

تمحور عمل الغزيري في مدريد في اتجاهين: الأكاديمية الملكية والمكتبة الملكية. وكان شغله الشاغل إبراز مواهبه في اللغات الشرقية، وخصوصاً العربية أمام الإسبان، وفي اللغتين اللاتينية والإيطالية، مما دفع بالملك إلى إصدار قرار بتعيينه مديراً لمكتبة الأسكوريال وذلك عام 1749م، ليقوم بفحص الكتب العربية، وتقديم تقرير عن كنوزها للملك بعد دراستها والتعريف بها، وتقييد الشذور التي رأى أن ينقلها منها، والملاحظات التي رأى تسجيلها، ثم عاد إلى مقر إقامته بمدريد في أواخر عام 1753م. وكان لعمله هذا الأثر الحسن عند الإسبان، كما كان له الفضل الكبير في وضع بعض أسس الاستشراق وازدهارها في إسبانيا. ولكن أهم ما قام به هو وضعه لفهرس كبير للمجموعة العربية بمكتبة الأسكوريال على طريقة الفهرس الذي وضعه يوسف السمعاني لمخطوطات مكتبة الفاتيكان الذي عرف باسم بيبليوتيكاً أورينتاليس. واتبع في وضع فهرسه قاعدة التركيز، وهي تدور حول المواد والتحليلات، وجرى على أسلوب الاقتباسات الموجزة والمطولة في إبراز قيمة المخطوطات ذات الأهمية الخاصة، وترجمة هذه الاقتباسات إلى اللاتينية. وأصدر الغزيري في عام 1760م الجزء الأول من فهرسه

اللاتيني بعنوان: (المكتبة العربية الإسبانية في الأسكوريال).⁽¹⁾ وخلال القرن الثامن عشر بُعثت حركة الترجمة من جديد وكتبت عدة دراسات عن العلوم والآداب العربية، وهو ما مكن خلال القرن التاسع عشر من ظهور ثقافة عربية إسلامية ناضجة لا تزال تعتمد عليها مدارس المستعربين في هذا العصر.⁽²⁾ ومهما يكن من أمر فإن إسبانيا تميزت عن غيرها من الدول الأوروبية الأخرى لأنها كانت مقراً سابقاً لتفجر العبقرية الأندلسية، ولذا كانت ميداناً فسيحاً لتلاقي المستشرقين والمستعربين الذين أدوا للتراث العربي والإسلامي خدمات لا تنكر سواء بأبحاثهم ودراساتهم الجادة وتحقيقاتهم للتراث الأندلسي واكتشاف مصادره ورفض غبار الإهمال والنسيان عن كثير من المؤلفات المهمة التي لولاهم ما رأت النور، كما قاموا بوضع فهرس يستفيد منها الباحثون والمهتمون بالتراث الأندلسي. وقد أسس هؤلاء المهتمون مدرسة الاستعراب الإسباني التي تمتد جذورها إلى القرن التاسع عشر الذي أنجب مستعربين كباراً مثل (فرانسيكو كوديرا إي زايدن Francisco codera y zaiden) الذي أسس نهضة كبيرة في ميدان الاستعراب الإسباني وأسدى خدمات جليلة للأدب الأندلسي.⁽³⁾ إن فرانسيكو كان تلميذاً للمستعرب الكبير

(1) انظر دراستنا عن الأسكوريال والتراث العربي الإسلامي في مجلة الفيصل عدد: 292 يناير 2001م ص: 11 و12.

(2) انظر دراستنا عن (الاستعراب الإسباني بين الإنصاف والإهمال) في مجلة (رسالة الجهاد) الليبية، عدد: 90، 1990م، ص: 80 إلى 88.

(3) انظر دراستنا عنه في مجلة (التاريخ العربي) عدد: 29، ص: 337 إلى 350.

باسكوال دي غاينغوس Pascual de Gayangos وهو خليفته على كرسي الدراسات العربية في جامعة مدريد، وصاحب أشهر مدرسة استعرابية في إسبانيا. تخرج على يديه عدد من التلاميذ كان لهم فضل كبير في توجيه نظر الباحثين في إسبانيا إلى أهمية المرحلة الإسلامية في تاريخها، وهي مرحلة زاخرة ومزدهرة حضارياً وفكرياً.

وقد أسس هؤلاء مدرسة أطلقوا عليها اسم (بني كوديرا Beni codera) مستخدمين في ذلك اللفظ العربي الذي شاع بين الإسبان وما زال قائماً في كثير من القرى الأندلسية التي تبدأ بلفظ (Beni) وهي منتشرة في الريف الإسباني بأسمائها هذه إلى اليوم⁽¹⁾.

وكان من أشهر تلاميذه: خوليان ريبيرا JULIAN RIBERA، وأسين بلاثيوس ASIN PALACIOS، وأنخيل غونثاليثيا ANGEL GONZALEZ PALENCIA، وغارسيا غوميث GARCIA GOMEZ. لقد قام هؤلاء الأعلام بمجهود جبار في إثراء المكتبة الأندلسية بما حققوه وكتبوه من دراسات تبين بجلاء واضح فضل الحضارة الأندلسية الإسلامية على إسبانيا وعلى النهضة الأوروبية.

(1) انظر مجلة الأندلس، المجلد 15، 1950م، ص: 274.

تقسيم حركة الاستعراب الإسباني

يمكن تقسيم حركة الاستعراب الإسباني حسب الباحث الدكتور حامد أبو أحمد إلى أربعة أقسام رئيسة منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الآن، نورد هنا مختصرة وهي:

مجموعة تنطبق عليها الصورة التي رسمها إدوارد سعيد في كتابه (الاستشراق)، وهي التي تكن عداء دفيناً ضد الإسلام والثقافة الإسلامية. ومن أبرزهم المؤرخ الإسباني (كلاوديو سانثيث البرنوس CLAUDIO SANCHEZ ALBORNOZ) صاحب كتاب (تاريخ إسبانيا المسلمة).

جماعة من الكتاب والمفكرين الذين شغلهم مسألة البحث عن الأصول والجزور في الثقافة الإسبانية، وإن كانوا غير متخصصين في الدراسات العربية. من هؤلاء: (رامون مينيديث بيدال RAMON MENENDEZ PIDAL / 1869-1968) و (أميريكو كاسترو AMERICO CASTRO / 1885-1973) وهو صاحب الكتاب الشهير (آثار الإسلام) الذي عرف فيه بفضل الإسلام على الحضارة الأوربية.

جماعة من المستشرقين المتخصصين في الدراسات العربية والأندلسية كخوليان ريبيرا، وأنخيل غونثاليت بالينثيا، وآسين بلاثيوس وغارسيا غوميث. فضلاً عن كوكبة كبيرة من العاصرين مثل بيدرو مارتنيث مونتافيث PEDRO MARTENIZ MONTAVEZ وفيرناندو دي لاجرانخا FERNANDO DELA GRANJA وسواهما.. وكارمن رويث

برافو C. RUIZ BRAVO وفيرناندو دي أجريدا FERNANDO DE AGREDA وفيديريكو أربوس FEDERICO ARBOS وغيرهم. أما المجموعة الرابعة فتمثل تياراً مهماً في ثقافة إسبانيا المعاصرة. ذلك أن بعض كبار الأدباء الذين لم يعرفوا اللغة العربية ولم يتخصصوا في دراستها قد أدركوا قيمة التراث الأندلسي من خلال قراءتهم للأعمال التي نشرها المستعربون المتخصصون، فبدؤوا يعيدون النظر في هذا التراث ويستلهمونه في أشعارهم وكتاباتهم نذكر منهم: الشاعر الكبير خوان رامون خيمينيث JAN RAMON JIMENEZ وفيديريكو غارسيا لوركا F. GARCIA LORCA و مانويل ماتشادو MANUEL MACHADO، وخوان غوتيسولو JUAN GOYTISOLO الأديب والروائي الذي اختار المنفى حيث استقر في مدينة مراكش بالمغرب⁽¹⁾. أما المستعرب الإسباني بيدرو تشالميتا فيرى أن الاستعراب الإسباني يتميز بوضع يجمع بين النقيضين، «فمن ناحية الظروف الجغرافية التاريخية نجد أن هناك اهتماماً بالحقبة الأندلسية. وفي هذا السياق نحن نتفوق على باقي حركات الاستعراب، ولكننا نسير في المؤخرة فيما يتعلق بالدراسات المتعلقة بالإسلام خارج الأندلس، فأسين بلاثيوس تطرق إلى الموضوعات من منظور أندلسي، وكانت أكثر عالمية من الموضوعات التي تطرق إليها غارثيا غوميث، إذ طرق مسألة تأثير

(1) انظر مجلة (الثقافة العربية) الليبية، عدد: 11/12 - 1990م، ص: 77 و78.

الإسلام في المسيحية، والمسيحية في الإسلام من منطلق أندلسي، إلا أنها كانت بمثابة قضية عامة، وهي قضية التصوف نفسها التي عالجها ماسينيون الذي ركز دراساته حول الحلاج، في حين أن أسين بلاثيوس ركز على ابن حزم وشخصيات أخرى، إلا أنها كانت تطرح المشكلة نفسها. لهذا نجد أن وقع دراسات هذا الإسباني في المجال العلمي والعالم العربي كانت أكثر تشابهاً مع أعمال ماسينيون بنسبة أربعين إلى ستين في المئة، في حين أن هذه النسبة تنخفض في أعمال غارثيا غوميث (نسبة) إلى أعمال جاك بيرك إلى عشرة مقابل أربعين، وذلك لأن غارثيا غوميث ركز على موضوعات أندلسية بحتة، في حين أن زميله الفرنسي اشتغل بقضايا عالمية ذات انطلاقة أندلسية»⁽¹⁾.

ومع أن الكنيسة والدولة قد عملتا على طمس كل ماله علاقة بالإسلام وتشويه صورته في ذهن الإنسان الإسباني، ساعية إلى روح التعصب وعدم التسامح مع الآثار الإسلامية، مع أنها تشكل جزءاً من تاريخ إسبانيا؛ فإن ذلك لم يمنع من وجود طائفة من المثقفين الموضوعيين الذين يتجرؤون على اجتياز المحظور لإثبات الحقيقة، وخصوصاً أننا نقف اليوم على دراسات وأبحاث لمفكرين إسبان تكشف عن جوانب كثيرة من هذا المحظور، وتظهر الجهر بالانتماء الأندلسي، بل الإسلامي، وبضرورة وجوب تعليم اللغة العربية والحضارة الإسلامية في المدارس

(1) انظر حواراً معه في أخبار الأدب أجراه خالد سالم، عدد: 21، يناير 1996، ص: 27.

الإسبانية على غرار اللغات الأجنبية الأخرى، بل واعتزازهم بماضيهم الإسلامي والحضاري والاحتفال بذكرى شخصيات عربية إسلامية في مجال الفكر والأدب (ابن حزم- ابن الأبار- ابن رشد- ابن ميمون- ابن الخطيب- المعتمد بن عباد...)، وتلقى هذه الأصوات استجابة كبيرة من طرف سكان المناطق الأندلسية، فتأسست جمعيات عديدة لذلك وعقدت ندوات ومؤتمرات استدعي لها العديد من الباحثين والمفكرين الإسبان والعرب.

وقد لاحظ الدكتور محمود علي مكي: أن «هناك وعياً حقيقياً بالحضارة العربية الإسلامية واعتزازاً حقيقياً بها، وعلى الأخص في قرطبة وأشبيلية وقادس وملقا وغرناطة والمريا، وهناك من الإسبان المعاصرين من يقول إنه أكثر انتماء إلى العالم العربي منه إلى إسبانيا الكاثوليكية أو إلى إسبانيا الحالية.. والكثير من الكتاب والأدباء والشعراء الإسبان يكتبون انطلاقاً من هذه الروح»⁽¹⁾.

إن إسبانيا تشهد اليوم صحوة في دراسة تاريخها وحضارتها القديمة، وهي صحوة لصالح الحضارة الإسلامية خاصة والإنسانية عامة. واعترفت الحكومة الإسبانية سنة 1992م رسمياً بالإسلام باعتباره ديناً سماوياً، ومنحت المسلمين وثيقة بذلك، وأصبح المسلمون

(1) انظر حواراً معه في مجلة (الحرس الوطني) السعودية، عدد: فبراير 1993م، ص: 108 وانظر كذلك دراستنا عن (أثر الإسلام واللغة العربية في الحياة الإسبانية)، مجلة (التاريخ العربي)، عدد: 28 ص: 151 إلى 173.

يتمتعون بكامل حقوقهم كباقي أتباع الديانات الأخرى. ويرى الكاتب الإسباني والأندلسي الشهير والمعروف بتعاطفه مع الثقافة العربية (أنطونيو غالّا Antonio Gala) أن «الإسلام هو نحن، ولا يمكن أن نسير في اتجاه معاكس لما هو بداخلنا، فإسبانيا بدون إسلام لا يمكن فهمها كما لا يمكن فهم لغتها، لأن اللغة الإسبانية هي عملياً لغتان (أي مزدوجة اللسان)، فهي لاتينية وعربية أيضاً». ويضيف قائلاً: «عندما تم تسليم غرناطة، أصبحت إسبانيا فقيرة منعزلة لمدة قرون، وأصبحت الدول المسيحية بها هرمة بعد أن أفلت شمس الحضارة السامية العربية الإسلامية، عندئذ انتهى عصر العلم والحكمة والفنون والثقافة الرفيعة والذوق والتهديب»⁽¹⁾.

إن المهمة الأساسية التي قام بها المستعربون الإسبان في الماضي والحاضر هي كسر الحواجز ومحاولة الخروج من القوقعة التي فرضتها ظروف دينية وسياسية. ولعل في عمل ومجهود المستعرب الكبير ميغيل آسين بلاثيوس ما يبرهن على ذلك.

(1) نقلاً عن جريدة (الشرق الأوسط) عدد: 28/6/1992م، ص: 18 (المخطوط القرمزي) محمد محمد الخطابي.

الفصل الثالث

ميغيل آسين بلاثيوس.. قمة الاستعراب الإسباني المعاصر

يعتبر ميغيل آسين بلاثيوس من أنبغ طلاب خوليان ريبيرا ونجبائهم، ولد في مدينة سرقسطة سنة 1871 من أسرة متواضعة، تعلم في مدرسة الآباء اليسوعيين، بعدها اتجه إلى الدراسات الدينية، بهدف أن يصبح راهباً. وخلال هذه الدراسة الدينية كان يتردد على كلية الآداب، وهناك التقى بأستاذه المستعرب خوليان ريبيرا الذي أعجب بمواهبه واستعداده، فساعده مادياً ومعنوياً بحيث لم يفترقا منذ أن تعرفا على بعضهما، فعملاً معاً في نفس الخط الذي كان قد بدأه أستاذهم الكبير المستعرب فرانسيسكو كوديرا. ولما «أكمل دراسته اللاهوتية، ودراسته في كلية الآداب، أراد مطران المدينة أن يعينه خورياً في كنيسة قروية، لكنه استطاع بعد جهد كبير أن يعمل مدرساً لتاريخ الفلسفة في عدة معاهد ذات صفة دينية، ولم يستطع -كما كانت رغبته- أن يعمل مدرساً للغة العربية؛ لأن وظائفها كلها مشغولة بشبان من جيله، مما أغلق الباب في وجهه. وبلغت المشكلة أسمع أستاذه فرانسيسكو كوديرا، وكان يشغل كرسي اللغة العربية في جامعة مدريد؛ فطلب أن يحال إلى المعاش قبل أن يبلغ السن القانونية، ليفسح الطريق أما تلميذه النابه. وجاءت التوضيحية الثانية من أستاذه ريبيرا حين قبل على غير العادة أن يبقى في جامعة سرقسطة الإقليمية، وأن يرسل بطالبه الذكي أستاذاً للغة العربية في الجامعة المركزية بالعاصمة، وهو

منصب كان هو أولى به وأحق، ولكنه آثر أن ينتظر وأن يرتقب فرصة أخرى»⁽¹⁾.

وهكذا استطاع أسين بلاثيوس أن يحقق أمنيته وهي الحصول على وظيفة أستاذ اللغة العربية بجامعة مدريد المركزية، فسار في عمله على نهج أستاذه حريصاً على واجبه رغم الصعوبات التي كانت تعترضه في مهمته وذلك لانعدام الكتب والمعاجم العربية في إسبانيا التي كانت تعيش ظروفاً سياسية واقتصادية صعبة، فكان «نموذجياً في سلوكه، دقيقاً في مواعده لا يتخلف عن درسه، ولا يتأخر عن محاضراته، مجيداً في عمله. لا يبخل بشيء على طلابه، ويتخير النابهين منهم فيعطيهم دروساً خاصة، ثم يدعوهم إلى بيته، ويفتح أمامهم مكتبته ويهاديهم نسخاً من ألف ليلة وليلة، وألف لهم في قواعد اللغة العربية مختصراً بسيطاً منظماً، خير ما ألف في بابه، يدرسه الطلاب في شهرين، وبعدهما يستطيعون أن يترجموا نصوصاً من اللغة العربية إلى الإسبانية، وأن يحلوا هذه النصوص بمساعدة المعاجم، وما أصعب النصوص التي كانوا يترجمونها»⁽²⁾.

جمع أسين بلاثيوس في حياته عملين مهمين:

أولاً: في مجال التدريس، فقد استمر مدرساً للغة العربية في جامعة

(1) مجلة أفاق عربية، عدد: 3/1977م، ص73 (قمة الاستشراق الإسباني المعاصر، د. الطاهر أحمد المكي).

(2) مجلة أفاق عربية، عدد: 3/1977م، ص73 (قمة الاستشراق الإسباني المعاصر، د. الطاهر أحمد مكي).

مدريد، إضافة إلى إشرافه ورئاسته لمعهد الدراسات العربية الذي أنشئ سنة 1932 في مدريد إلى أن تقاعد سنة 1941م وهو في السبعين من عمره، حصل فيها على عضوية مجمع اللغة الإسبانية سنة 1910 ثم مديراً له سنة 1943م، كما حصل على عضوية مجمع العلوم الأخلاقية والسياسية ومجمع التاريخ. وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق. كما مثل بلاده في معظم مؤتمرات المستشرقين.

ثانياً: في مجال البحث والدراسة والنشر، بحيث أنجز العديد من الدراسات والأبحاث نشرت في مجلات متخصصة أو في كتب مستقلة. «فما بين أول دراسة كتبها بلاثيوس سنة 1898م وبين آخر يوم فارق فيه الحياة سنة 1944 حرر 245 مؤلفاً، بعضها بحوث مركزة صغيرة الحجم وبعضها الآخر دراسات موسعة، جاءت في أجزاء متعددة، ونشر معظمها في حياته، وقليل منها قام على نشره تلاميذه بعد وفاته. وتغطي هذه البحوث مساحة واسعة في حقل الدراسات الإنسانية، سواء ما يتصل باللغة أو التاريخ أو الآداب، وجاء معظمها في الفلسفة الإسلامية بجوانبها المتعددة: توحيداً وزهداً وتصوفاً»⁽¹⁾.

(1) مجلة أفاق عربية، عدد: 3 / 1977م، ص 74 (قمة الاستشراق الإسباني المعاصر، د. الطاهر أحمد مكبي).

الفصل الرابع

بلاثيوس والفلسفة الإسلامية

انصب اهتمام أسين بلاثيوس منذ البداية على الفلسفة الإسلامية، فكانت رسالته للدكتوراه التي تقدم بها عام 1901م عن (الغزالي: اتجاهاته الصوفية والفكرية). كما درس أصول الفلسفة في الربوع الأندلسية، ورأى أن «تاريخ الفكر الفلسفي في إسبانيا الإسلامية هو صورة مطابقة لما كانت عليه الثقافة الإسلامية المشرقية، دون أن تكون له بالثرات المحلي صلة حقيقية يقوم عليها الدليل.. وأن الفلسفة لم تدخل الأندلس صريحة ظاهرة بوجه مسفر، وإنما وفدت عليه في صحبة العلوم التطبيقية -الفلك والرياضيات والطب- أو تسربت إليه متسترة في ثنايا بدع الاعتزال وبعض مذاهب الباطنية، كما اجتهد أصحاب هذه المذهب التي كان الناس يتحاشونها في النجاة بأنفسهم من تعقب الفقهاء وأهل الدولة بالظهور في مظهر التدين والنسك»⁽¹⁾. وكان أهم إنجازاته في هذا الميدان هو دراسته القيمة عن الفيلسوف الأندلسي ابن مسرة ومذهبه، وكان محمد بن مسرة القرطبي (318-269هـ)، «أول مفكر أصيل في الأندلس الإسلامي. وكان يستر آراءه وراء نسكه وزهده، وكان أبوه عبدالله من أهل البيع والشراء، ويهوى آراء المعتزلة، كما كان صديقاً لخليل الغفلة، وهو الذي علم ابنه محمد علوم الدين والفلسفة، وقد ضاعت كتب ابن مسرة كلها، ولم يصل إلينا منها سوى: (كتاب التبصرة) و(كتاب الحروف). وقد استطاع أسين بلاثيوس أن يجمع أطراف مذهب ابن مسرة الفلسفي والديني،

(1) تاريخ الفكر الأندلسي، أنجيل غونثاليث بالينثيا، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، ص: 323 و 326، مكتبة النهضة المصرية.

معتمداً على ما ورد من كتب الأندلسيين، أمثال ابن حزم وصاعد الطليطلي والشهرزوري والشهرستاني وابن أبي أصيبعة والقفطي»⁽¹⁾.
لقد انتشرت أفكار ابن مسرة في الأندلس وكان لها التأثير القوي والمباشر في كل المذاهب الفلسفية التي جاءت بعده في الأندلس، ولكن كتبه بقيت مغمورة، وقد اختلف الناس حوله اختلافاً شديداً، فكثير أعداؤه كما كثير أصدقاؤه. إضافة إلى هذا العمل القيم، فقد قام بلاثيوس بدراسة شخصية ابن عربي المرسي الصوفي الشهير (638-560هـ) صاحب (الفتوحات المكية) و(نصوص الحكم) و(الديوان)، «فقد قرنت بينه وبين (رايموند لول) وتتبع مظاهر التشابه بينهما، ووضع يده على نقط اللقاء، أو الأخذ إذا شئت الدقة، ووجد أنهما يلتقيان في التعاليم الأساسية لمذهبيهما، فالعلم عند كليهما واحد، وهدفه البحث عن الوحدانية»⁽²⁾.

لقد ذاعت آراء ابن عربي ذيوعاً عظيماً في بلاد الإسلام، وما زالت معروفة متداولة إلى اليوم، بل انتقلت إلى بلاد النصرانية. وقد أقيم في مدينة مورسيا MURCIA مسقط رأسه في شهر نوفمبر سنة 1990م أول لقاء عالمي حول ابن عربي، وذلك بمناسبة مرور 750 سنة على وفاته (1240م-1990م)، أشرف على تنظيمه العديد من الهيئات والمراكز الثقافية في إسبانيا، ودُعي إليه العديد من الباحثين في العالم إلى جانب باحثين ومستعربين إسبان، وقد

(1) تاريخ الفكر الأندلسي، ص: 326 و 327 و 329 (مرجع سابق). وانظر كذلك مجلة دعوة الحق، عدد: 8/9 (1962) د. محمود علي مكي (التصوف الأندلسي مبادئه وأصوله) ص: 10.
(2) مجلة أفاق عربية، عدد: 3/1977م، ص: 76 (مرجع سابق).

ساهم الجمع بدراسات وافية ومهمة تناولت جوانب عديدة من حياة وفكر هذا الصوفي وتأثيره في العالم المسيحي»⁽¹⁾.

كما حظيت شخصية ابن حزم باهتمام كبير من طرف أسين بلاثيوس وغيره من المستعربين الإسبان، واختلفوا في تحديد هويته بين عربي إسباني أم إسباني متعرب⁽²⁾.

وقد قام بترجمة كتابه (الأخلاق والسير في مداواة النفوس) عام 1916م وقد أجمل وصفه بقوله: «إنه أشبه بسجل يوميات دون فيه ابن حزم ملاحظات أو اعترافات تتصل بسيرة حياته، وهذه الملاحظات ترد في الكتاب دون ترتيب يقصد به إلى التعليم والتربية، ولم يراع في تنسيقها منطقاً، ونحن إذ نقرؤه نجد فيه الوقائع كما سجلها رجل يقظ دقيق الملاحظة أثناء تجاربه الواسعة، وصاغها في قالب مبادئ عامة وحكم»⁽³⁾.

أما المؤرخ الإسباني سانشيت البرنوت SANCHES ALBORNOZ فيقول عن زيارته لبلاثيوس في مكتبه وهو يقوم بترجمة الكتاب: «وما أكثر الأمسيات التي شهدت فيها بلاثيوس يترجم الكتاب ويسود الصفحات البيض. في مكتبه في شارع أنشا ANCHA. أحسست بالأهمية المتزايدة لهذه الشخصية الإسبانية المسلمة المنقطعة النظر»⁽⁴⁾.

(1) انظر نشرة INSTITUTO DE COOPERACION CON EL MONDO ARABE - MADRID/N°58 .ARABISMO /P.7Y8/ 1990

(2) انظر حول هذا الموضوع كتاب (دراسات ابن حزم وكتابه طوق الحمامة - الباب الرابع - ص: 139 إلى 145) الدكتور الطاهر أحمد مكي، دار المعارف.

(3) تاريخ الفكر الأندلسي، أنجيل غونثاليث بالينثيا، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، ص: 217 (مرجع سابق)

(4) انظر كتاب دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ص 140.

كما قام بنشر كتابه (الفصل بين الملل والأهواء والنحل)، مع تحليل لنقده الأفكار الدينية في خمسة أجزاء كبار، نشرته الأكاديمية التاريخية بمدريد (1927-1932). وله دراسة مفصلة عن شخصية ابن حزم نشرها في مجلة (الأندلس) سنة 1934م.

أما كتاب (الفصل) فهو تاريخ نقدي للأديان والفرق والمذاهب «حافل بما فيه من مادة وأفكار، يعرض فيه ابن حزم شتى مذاهب الذهن البشري في موضوع الدين، من الإلحاد المطلق الذي عليه السفسطائيون الذين لا يؤمنون بشيء بل لا يؤمنون بأن تفكيرهم نفسه حقيقة مجردة، إلى إيمان العوام الذين يصدقون كل شيء، ويؤمنون بالخرافات في جهل، ولا يشكون في شيء»⁽¹⁾.

يعتبر كتاب (الفصل) أشهر ما ألف ابن حزم في مادة التاريخ وأعظمه قيمة لما اشتمل عليه من معلومات مهمة فيما يتصل بتاريخ الآراء والمذاهب. يقول أسين بلاثيوس عن قيمة الكتاب وأهميته: «إننا لا نجد بين أيدينا وثيقة هي أغنى ولا أجدر بالثقة من كتاب الفصل لابن حزم، تمكننا من تتبع سير تيار الثقافة الذي لم يتوقف أبداً خلال العصور الوسطى فيما يتصل بتاريخ الآراء والمذاهب، ففي ثنايا صفحات هذا الكتاب يتجلى لنا ذلك النسيج الذهني الذي تتألف منه الفلسفة الخالدة، ذلك النسيج الذي صنعه أوفر العبقريات الإغريقية وأحكمته بأيديها في مهارة فائقة، وعلى ضوء صفحاتها نرى كيف يزداد النسيج سعة وامتداداً، وكيف تدخل في تكوينه على مر العصور أنسجة

(1) تاريخ الفكر الأندلسي، أنجيل غونثاليت بالينثا، ص: 221، مرجع سابق.

جديدة، وربما وجدنا أن هذه الأنسجة الجديدة لا تضاهي نسيج الإغريق روعة وبريقاً، ولكنها تقل عنه مكانة وقدرة على البقاء، ونراها تجود وتزداد إحكاماً بفضل ما أدخله عليها التفكير النصراني الشرقي وما أضافه إليها المسلمون من مادة أوفر. وقد كان المسلمون آخر من انتهت إليهم أطراف هذه العناصر كلها، ولهذا فقد تجمعت بين أيديهم ثمرات هذا التطور الفكري الغني ونتائجه، ومن ثم لم يكن بالعسير عليهم أن يسبقوا مفكري النصارى من أهل الغرب في تحليلها ووضع منهجها وأساسها اللذين سيقوم عليهما التفكير المنهجي الأسكولاستي في القرن الثالث عشر»⁽¹⁾.

لقد فوجئ الأمير شكيب أرسلان بالروح العلمية الهادئة الرزينة التي كان يتمتع بها أسين بلاثيوس عندما اجتمع به في الأسكوريال سنة 1930 وسأله عن رأيه في علماء غرب الأندلس، قال: «فرائنا له في حقهم رأياً عظيماً، وذكر منهم عدداً من جملتهم أبو محمد ابن حزم، وقال الأمير: برغم كون ابن حزم طعن كثيراً في النصرانية وأن أسين بلاثيوس ليس نصرانياً فحسب، بل هو قسيس متمسك بدينه»⁽²⁾.

وقد صنف أسين بلاثيوس مؤلفات ابن حزم في كتاب عنه إلى ما يلي:
أولاً: الفلسفة: ألف ابن حزم كتباً في مراتب العلوم والمنطق وفي نقد أبي بكر الرازي، وقد ضاعت كلها ولكن بقي لنا ما يستحق الذكر من تواليفه ككتابه

(1) تاريخ الفكر الأندلسي، أنجيل غونثاليت بالينثا، ص 228. وانظر كذلك مجلة (البينة) المغربية، السنة الأولى، العدد الثاني، يونيو 1962.

هل أثر ابن حزم في الفكر المسيحي، د. محمد إبراهيم الكتاني، ص 68 إلى 87.

(2) الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، شكيب أرسلان، الجزء الأول، ص 360.

المسمى (الأخلاق والسير في مداواة النفوس).

ثانياً: الفقه والأصول: ألف ابن حزم كتباً كثيرة في الحديث والمذاهب ولكن أهمها على الإطلاق كتاب (الأبطال). وأهمية هذا الكتاب راجعة إلى أنه يبين لنا الأسس التي بنى عليها ابن حزم مجادلته ونقده للمذاهب الأخرى، وهو الكتاب الأساسي الذي يبسط لنا فيه دقائق المذهب الظاهري الذي اعتقده. وله أيضاً كتاب (الإيصال إلى فهم كتاب الخصال) وكتاب (المحلّى في الخلاف العالي في فروع الشافعية) وكتاب (الفصل).

ثالثاً: علوم الدين: كتب ابن حزم رسالات كثيرة، نقض فيها آراء أصحاب المذاهب التي اعتبرت منحرفة عن الطريق القويم، أو دلت على أن أسلوب القرآن معجز لا يشبه في شيء أي أسلوب من أساليب البلاغة الإنسانية، وقد ضاعت هذه الكتب.

حاول ابن حزم في دراسته في موضوع الأديان أن يوفق بين العقل والعقيدة (سابقاً بذلك ابن رشد بقرن من الزمان)، واجتهد في أن يطبق على الإلهيات أصول المذهب الظاهري الذي اعتقده، متبعاً في ذلك قواعد عامة أوجزها أسين بلاثيوس فيما يلي: «الأخذ بالمعنى الحرفي (الظاهر) للفظ القرآن، و (الاجتهاد) في تفسير آيه تفسيراً عقلياً طبيعياً، وهو اجتهاد يقوم على ما ورد في معاجم اللغة من معاني الألفاظ، وما قرره اللغويون من قواعد البلاغة العربية وأصولها، والتزام ما أجمعت عليه الأحاديث الموثوق فيها مما صح سنده عن الصحابة أو ما قرره (إجماع) المسلمين وذلك دون (تقليد) لرأي أي مذهب معين».

رابعاً: التاريخ: خلف ابن حزم لنا مادة طيبة في التاريخ، منها كتاب (جمهرة أنساب العرب) وهو عظيم الفائدة لمن يدرس تاريخ الإسلام في المشرق والأندلس، وكتاب (نقط العروس) وكذلك (الرسالة) المشهورة في (بيان فضل الأندلس وذكر علمائه) وقد احتفظ لنا المقري بنصها في (نفح الطيب). وقد كتب هذه الرسالة جواباً على ما ورد في خطاب بعث به أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد بن الربيب التميمي القيرواني إلى أبي المغيرة عبدالوهاب بن أحمد بن عبدالرحمن بن حزم، (يذكر تقصير أهل الأندلس في تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضلهم وسير ملوكهم).

فانبرى ابن حزم يذكر علماء الأندلس ويعدد أفضالهم ومؤلفاتهم في حماس بالغ لوطنه. قال أسين بلاثيوس في حق هذه الرسالة القيمة: «إنها تضم ثباتاً بما ألف الأندلسيون في صنوف الآداب والعلوم، وكل فصل منها يدور حول صنف من العلوم والآداب، ويذكر ابن حزم أمهات مؤلفات الأندلسيين في كل علم وفن».

أما آثاره الأدبية فيعتبر كتاب (طوق الحمامة) أهم ما ألفه في هذا الباب وهو (رسالة في الألفة والآلاف) أي الحب والمحبين⁽¹⁾.

وفي مجال التصوف درس شخصية ابن عباد الرندي (791-733هـ) المتصوف الأندلسي وكان شاذلياً فقد وقف أسين بلاثيوس طويلاً عند طريقة الشاذلية حيث تتبع نشأتها وأذكارها ورجالها في دراسة جادة وعميقة،

(1) تاريخ الفكر الأندلسي، أنجيل غونثاليت بالينثا، ص: 217 و 218 و 219 و 220 و 221.

ووصف ابن عباد شرح كتاب الحكم لابن عطاء الله السكندري وهو أهم كتبه بأنه منهج كامل لطريقة زهدية صوفية، وقد وقع على نقاط اللقاء بين هذا الصوفي المسلم وبين صوفي آخر مسيحي، وهو يوحنا الصليبي (SAN JUAN DE LA CRUZ 1542-1591م)، وكان شاعراً وزاهداً وصاحب أتباع يطلق عليهم (أهل النور)، وأبرز هذه النقاط فكرتا (البسط) و(القبض)، وكان أبو الحسن الشاذلي يشبههما بالليل والنهار، فأخذ يوحنا الصليبي ذلك التشبيه وتوسع فيه واستخدم تعبير (النور) و(الظلام). ولأن ابن عباد الرندي سبق يوحنا الصليبي بمئتي عام، فلا شك أن السابق أثر في اللاحق.⁽¹⁾

وقد تابعت مستشرقة من بورتوريكو وهي (لوثي باراليت LUCE PARALET) طريقة ميغيل أسين بلاثيوس في تتبع التأثيرات الإسلامية في (سان خوان دي لاكروت) فأضافت إلى ما ذكره لغة الصوفي الإسباني المليئة بالغموض والرموز التي تعد انتهاكاً لقواعد التعبير المألوفة ولغة شعراء الصوفية، الشرح الذي قام به سان خوان دي لاكروت لديوانه (النشيد الروحي) والتأويلات البعيدة التي قدمها باعتبار أن للألفاظ ظاهراً وباطناً وذلك على نحو الشرح الذي قام به ابن عربي لمجموعته الشعرية (ترجمان الأشواق) وتأويلاته لمقطوعات من الشعر الغنائي العربي لم يكن أصحابها من المتصوفة كما هو موجود في مواضع عديدة من كتابه (محاضرات الأبرار)⁽²⁾

(1) تاريخ الفكر الأندلسي، بالينتيا، ص: 390 (مرجع سابق)، ومجلة آفاق عربية، عدد: 3/1977م، ص: 77 (مرجع سابق).

(2) انظر موضوع التراث المشترك الأندلسي المغربي في ميدان التصوف للدكتور محمود علي مكي الذي شارك به في ندوة أكاديمية المملكة المغربية سنة 1992م - ص: 165.

ونشر كذلك كتاب (الحدائق) لابن السيد البطليوسي مع ترجمة إسبانية سنة 1940م فيقول في حقه: «إن كتاب الحدائق لا يمكن اعتباره كتاباً سهلاً الاستعمال يعين جمهور غير المتخصصين في الفلسفة على معرفة المبادئ الفلسفية؛ بل له بفضل طابعه السهل المنبسط أهمية أخرى وهي أنه يعرض علينا صورة صادقة إلى حد كبير للحالة التي كانت عليها المعارف الفلسفية في إسبانيا الإسلامية في الفترة التي ألف فيها. فقد كتب في نفس الوقت الذي كان ابن ماجة يؤلف فيه كتبه، وقبل ابن طفيل وابن رشد في شرح مؤلفات الفيلسوف أرسطو. ومما يزيد في أهميته أن ابن السيد يورد فيه فقرات بنصها من محاورة لأفلاطون. وهذه الفقرات التي يوردها ابن السيد من تلك المحاورة لا تتفق مع نصها اليوناني المعروف مما يثير مشاكل متعددة تتعلق بالمراجع الخاصة بدراسة أفلاطون، وهي مشاكل جدية بأن يناقشها المتخصصون في الفلسفة. وعلاوة على ذلك كله فإن كتاب الحدائق يعتبر أول محاولة للتوفيق بين الشريعة الإسلامية والفكر اليوناني»⁽¹⁾.

ويرى الكثير من المؤرخين والمهتمين بالثقافة الأندلسية والاستشراقي أن أهم اكتشاف قامت عليه شهرة أسين بلاثيوس هو موضوع كتابه: (الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية) LA ESCATOLOGIA (MUSULMANA EN LA DIVINA COMEDIA)، وقد طبع هذا الكتاب ثلاث مرات: 1919 و 1943 و 1961، وكان دانتي شاعر إيطاليا الكبير

(1) تاريخ الفكر الأندلسي، أنجيل غونثاليت بالينثا ص: 334 و 335 (مرجع سابق).

قد أثار الناس وبهرهم بمنظومته الرائعة (الكوميديا الإلهية)، فأصبح واحداً من شعراء الإنسانية الخالدين. وفاق شعراء اليونان، وتربع أميراً للشعر الإنساني حتى ظهر وليام شكسبير بعده بثلاثة قرون تقريباً⁽¹⁾. وقد قام المستشرق الفرنسي (هنري بيرس) بنشر ببليوغرافية أعماله بعنوان (أعمال ميغيل آسين بلاثيوس) بمجلة (الدراسات العربية) التي كان يديرها لعدة سنوات، وكانت تصدر بالجزائر، وقد تضمنت ما يزيد على ثلاثة وسبعين مؤلفاً وبحثاً، مما هو منشور، بعضها يضم مجلدات. نوردها هنا تعميماً للفائدة وقد قام بترجمتها الدكتور مصطفى الغديري⁽²⁾:

1 - محيي الدين ابن عربي. نشر ضمن البحوث التي قدمت بمناسبة التكريم المهدى لـ (لمنديث إي بلايو)⁽³⁾. المجلد الثالث مدريد 1899م.

2 - ابن باجه الفيلسوف السرقسطي (سلسلة من ثمانية مقالات منشورة في مجلة أرغون بسرقسطة (1901-1900م)).

3 - الغزالي: العقيدة، الأخلاق، الزهد (دراسات فلسفية - لاهوتية. مجموعة من الدراسات العربية VI. سرقسطة 1901م).

4 - الفيلسوف العصامي (سلسلة من ثلاث مقالات حول ابن طفيل

(1) مجلة العربي، عدد: 142، 1970، الأصول العربية للكوميديا الإلهية، د. حسن مؤنس، ص: 38.

(2) انظر دراسته عن الحركة الاستعرابية الإسبانية - مدرسة كوديرا نموذجاً - ضمن ندوة عن: الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة، إعداد كلية الآداب بوجدة - المغرب: 2003م، ص: 102 إلى 112.

نقلاً عن مجلة الدراسات العربية، العدد المزدوج رقم 21 يناير - فبراير 1945م، السنة الخامسة - الجزائر.

(3) منديث إي بلايو Menendez y Pelayo عالم إسباني من جيل كوديرا. ومن أشهر أعماله في حقل الاستعراب الإسباني (أصول الرواية) عالج فيه أثر الرواية العربية في الرواية الإسبانية وتأثير ألف ليلة وليلة في أدب Lope de Vega، ثم دراسة عن الأثر السامي في الأدب السامي في الأدب الإسباني، نشر بعيد وفاته بمجلة النقد الأدبي في مدريد. 1941م.

- نشرت في مجلة أرغون بسر قسطة 1901م).
- 5 - علم النفس الإيمان حسب الغزالي. منشور في مجلة أرغون بسر قسطة 1902م.
- 6 - وثائق كاتدرائية تطيلة المكتوبة باللغتين. نشرت بمجلة أرغون. سر قسطة 1902م.
- 7 - أوليات المعجم الثقافي لعلم اللاهوت والفلسفة الإسلاميين. نشر بمجلة أرغون بسر قسطة 1903.
- 8 - أصل ثورة الموحدين وطبيعتها. نشر بمجلة أرغون بسر قسطة 1904م.
- 9 - الرشدية اللاهوتية عند القديس توماس الإكوني في التكريم المهدي للعالم فرنسيسكو كوديرا. سر قسطة 1904م.
- 10 - وصف لمخطوط عربي / مسيحي في مكتبة كوديرا: الشاعر عيسى الهزار Isa EIL-Hazar نشر في مجلة الشرق المسيحي Rev.de l'Orient Chétien, Paris بالفرنسية. باريس 1906م.
- 11 - سيكولوجية الإشراف عند المتصوفين المسلمين الكبار: الغزالي وابن عربي في الثقافة الإسبانية. مدريد 1906م.
- 12 - دلالة لفظة (التهافت) في مؤلفات الغزالي وابن رشد. نشر في المجلة الإفريقية بالجزائر 1906م (بالفرنسية).

- 13 - اللولية⁽¹⁾ المفرطة في الثقافة الإسبانية. مدريد 1906م.
- 14 - علم النفس عند محيي الدين ابن عربي. نشر ضمن أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين في الجزائر المجلد الثالث. باريس 1907م.
- 15 - عدم الاكتراث بالديانة في إسبانيا الإسلامية، حسب رأي ابن حزم مؤرخ الأديان والمذاهب في الثقافة الإسبانية. مدريد 1907م. (بالفرنسية).
- 16 - حياة مختصرة لمريم العذراء. نشر في مجلة الشرق المسيحي. باريس 1908م (بالفرنسية).
- 17 - منطق ابن طلموس De Alcira نشر في المجلة التونسية تونس 1909م (بالفرنسية).
- 18 - مجادلة محمد القيسي المناهضة للمسيحية. نشر في المجلة الإسبانية. باريس 1909م.
- 19 - الأخلاق الحكيمة لابن حزم (مقالة في حلقتين) نشرت في الثقافة الإسبانية. مدريد 1909م.
- 20 - مؤلف موريسكي في مجادلة لليهود. نشر في مجموعات (Mélanges H. Denenbourg) باريس 1909م (بالفرنسية).

(1) رايونندو لوليو راهب فرنسيسكاني ولد في ميورقة تعلم العربية وتضلع فيها وكتب بها كتباً وشجع الإسبان على تعلم العربية وصار فيلسوفاً مجادلاً. عارض ابن رشد في كثير من آرائه (1315-1232م) وكان مبشراً في إفريقيا. زار بجاية وجادل علماءها يومئذ وكتب عدة كتب منها: أسماء الله المائة، التأليف والتوحيد، فلانكرينا Flanquerna، وتأثر فيه بعبادات وتقاليد المسلمين حتى دعا في كتابه هذا بالأب لا يسمح بالاختلاط بين الرجال والنساء في الكنائس أثناء أدائهم للقداس، السعيد في عجائب الدنيا (ينظر المزيد من التفصيل عن هذا الفيلسوف اللاهوتي بحث العالم خوليان ريبيرا بعنوان: الأصول العربية في فلسفة ريمونو لوليو بمناسبة تكريم العالم الإسباني مينينديث إي بلايو سنة 1899م. ونشر ضمن أعمال تكريم هذا العالم ج2/191-216. مدريد 1899 ثم أعاد نشره في كتابه (Disertaciones y Opusculos. T1 pp. 151-179).

- 21 - فقيه صقلي مناهض للغزالي. نشر في مائوية مولد ميشال أماري⁽¹⁾. المجلد الثاني باليرم. 1910م.
- 22 - المخطوطات العربية والموريسكية⁽²⁾ (الحاميدو) في مكتبة البلدية بغية التوسع في الدراسة. تعريف وتلخيص للتلاميذ في الدورة التي أشرف عليها خوليان ريبيرا إي طراغو وميغيل أسين بالثيوس. مدريد 1912م.
- 23 - التعريف بالمخطوطات العربية الموجودة في الجبل المقدس بقرنطة Sacro- Monte de Granada، نشر في مجلة مركز الدراسات التاريخية لقرنطة وإمارتها. قريناد. 1912م.
- 24 - تصوف الغزالي. نشر في منوعات الكلية الشرقية ببيروت. المجلد السابع بيروت 1914م. (بالفرنسية).
- 25 - تعليم اللغة العربية في إسبانيا. نشر بالمجلة الإفريقية بالجزائر 1914م (بالفرنسية).
- 26 - ابن مسرة ومدرسته. أصول الفلسفة الإسبانية / الإسلامية (خطاب ألقاه بمناسبة استقباله في الأكاديمية الملكية للعلوم الأخلاقية والسياسية) مدريد 1914م.

(1) ميخائيل أماري مستعرب إيطالي ولد في بالرمو 1806م وتوفي في فلورنسا سنة 1899م عن عمر ثلاث وتسعين سنة. تخصص في اللغة العربية وأدائها وتاريخها. وله عدة كتب منها تاريخ صقلية، مذكرات جديدة لمعرفة تاريخ جنوا الإيطالية. ويبقى كتابه (المكتبة العربية الصقلية) من أهم مصادر البحث في أدب صقلية المكتوب بالعربية وأعلامها. BIBLIOTHECA ARABO-SICULA. Lzipzig. 1857. Apéndice 1875.

(2) يقصد بها المخطوطات التي كتبها مسلمو الأندلس - بعد سقوط قرنطة نهائياً - باللغة الإسبانية مستعملين في كتابتها الحروف العربية عندما بدأت محاكم التفتيش الكنسية تتعقبهم. بعض أسماء هذه الكتب أوردها أنجيل غونثال بالينثيا في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي الذي حققه د. حسين مؤنس ص: 515-512.

- 27 - الأصل العربي لكتاب (مجادلة الجيش للأب أنسيلمو دي طورميديا)⁽¹⁾ مجلة فقه اللغة الإسباني. مدريد 1914.
- 28 - مقال المقاربة للسيد المسيح لدى المسلمين: الكتاب، والمتصوفة خاصة. نشر ضمن دورية رجال الكنيسة الشرقية. عدد XIV، XIII مجلة Patrologia Orientalis. باريس 115 (باللاتينية).
- 29 - مميزات وسيرة: رسالة في الأخلاق التطبيقية لابن حزم القرطبي. ترجمة إلى الإسبانية. مركز الدراسات التاريخية بمدريد 1916م.
- 30 - مدخل إلى فن علم المنطق لابن طملوس de Alcira النص العربي وترجمته إلى الإسبانية. الفصل: درجات التأويل (مركز الدراسات التاريخية). مدريد 1916م.
- 31 - أثر قصة المعراج الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي (خطاب ألقاه بمناسبة استقباله عضواً في الأكاديمية الملكية الإسبانية). نشر بمدريد 1919م.
- 32 - المسلمون الأوائل لـ (باري باسكال)⁽²⁾. نشر في دفاتر أكاديمية مينيديث إي بيلايو. سانتاندير 1920م.

(1) هو فرابلي أنسيلمو دي طورميديا Fraile Anselmo de Turmeda كان من طائفة الرهبان المعروفين بالصغر (Los menores) ولد في ميورقة ثم رحل إلى إيطاليا حيث درس علم اللاهوت، ثم رحل إلى تونس حيث ارتد عن المسيحية واعتنق الإسلام وتسمى بـ (عبدالله بن علي) وعاش ترجماناً في كنف الخفصيين. وصار يعرف في تونس بالترجمان الميورقي. وذاع كتابه المشهور (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) وكتاب التعاليم الصالحة، ثم كتاب رباعيات مملكة ميورقة، وكتاب النبوات. وكتب كتابه المسمى (مجادلة الجحش للأب أنسيلمو دي طورميديا) سنة 1417م. وترجم إلى عدة لغات (القطلانية والفرنسية والألمانية). وقد نشر النص الكامل للكتاب بالمجلة الإسبانية Revue Hispanique بباريس. المجلد 24 سنة 1911. وهو عبارة عن مجموعة من الخرافات تدور حول الحيوانات، ويجري الجدل في مجلس يتولى الحمار الكلام فيه بالنيابة عن أصناف الحيوانات، ويدحض الحجج التي يدلي أنسيلمو دي تورميديا. والحقيقة أن الكتاب عبارة عن ترجمة لمجادلة الحيوانات لبني آدم الوارد في رسالة إخوان الصفاء. ومات المؤلف في تونس على عقيدة الإسلام سنة 1420م.

(2) هو باسكال بليز عالم رياضي وفيزيائي وفيلسوف وأديب فرنسي اشتهر بالدفاع عن الدين المسيحي. له كتاب يحمل عنوان (الخواطر) (1662-1623م).

- 33 - أصول اشتقاق الألفاظ: Olé galdrufa, alá! guay, ojalá!, نشر في نشرة الأكاديمية الإسبانية، مدريد 1920م.
- 34 - التأثيرات الإنجيلية في الأدب الديني الإسلامي. نشر في منوعات بروون Browne. كمبردج 1922م.
- 35 - مدخل إسلامي للحياة الروحية. مجلة الزهد والتصوف. تولوز. فرنسا 1923 (بالفرنسية).
- 36 - مدخل إسلامي للحياة الروحية (منهاج) الغزالي: دراسة وترجمة. نشر بمجلة الزهد والتصوف. يوليو / أكتوبر 1923 باريس (بالفرنسية).
- 37 - ابن حزم القرطبي أول مؤرخ للفكر الديني (خطاب ألقاه بالأكاديمية الإسبانية للتاريخ بمناسبة استقباله الشعبي بتاريخ 14 ماي 1920م) مدريد.
- 38 - التأثيرات الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتلي: تاريخ ونقد للجدال الذي يزعمه الإسبان عالجته M.Ottavi نشر في مجلة الأدب المقارن المجلد الرابع 1924 ص.ص. 198-169، 407-369، 556-537. (بالفرنسية).
- 39 - خلاصة إسلامية للتربية. كتاب المدخل إلى العلوم للغزالي. نشرته جامعة سرقسطة. 1924م.
- 40 - الأصول العربية لرواية العجمية (حمام زرياب) ألقى بمناسبة تكريم مينينديث بيدال⁽¹⁾. مدريد 1924م.

(1) Menendez Pidal (1869-1968م) عالم متخصص في تاريخ إسبانيا في العصور الوسطى وكان اهتمامه منصباً على كل جوانب الحياة بجانبها: الإسلامي والمسيحي وتبوأ عدة كراسي في الجامعات العلمية الإسبانية والدولية.

- 41 - ملخص لعلم قواعد الحقوق عند الغزالي، نشر في الكتاب السنوي للحق الإسباني. مدريد 1925م.
- 42 - المتصوف المرسي ابن عربي: مونوغرافيات ووثائق:
أ- سيرة ذاتية، ب- إمام بالسيرة الذاتية (رسالة القدس)، ج- خطوط عامة لمنهجه. د- علمه في الأديان ونظرته إلى الكون. نشرة الأكاديمية التاريخية. مدريد 1925-1928م.
- 43 - أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية. ترجمه إلى الإنكليزية H.Suderland. لندن 1926م.
- 44 - ابن حزم القرطبي وتاريخه في نقد الفكر الديني. الأجزاء (1-5) منشورات أكاديمية التاريخ. مدريد 1927-1932م.
- 45 - دانتي والإسلام (مجموعة كتب إسبانية) مدريد 1927م.
- 46 - تعقيبات السيد Garcia de Silva y Figueroa. منشورات الأكاديمية التاريخية. مدريد 1928م.
- 47 - مدخل إلى كتاب (مقالات ومحاضرات). مدريد 1928م.
- 48 - الوسطية في الاعتقاد، خلاصة في عقيدة الغزالي. مدريد 1929م.
- 49 - كتاب الحيوان للجاحظ، منشورات جامعة مدريد. مدريد 1930م.
- 50 - مظهر لم يكشف النقاب عنه في الأصول الكلامية لعلم اللاهوت. نشر في Melanges Mandonnet. Paris 1930.

- 51 - تقديم كتاب (الإسلام والشرق) تأليف أنخيل جنثالث بالنتيا⁽¹⁾.
مدريد 1931م.
- 52 - زاهد من أميرية أبو العباس بن العريف وكتابه محاسن المجالس. نشر
بمجلة جامعة مدريد المجلد الثالث. ص.ص 441-458 سنة 1931م⁽²⁾.
- 53 - الإسلام في ثوب نصراني. دراسة في التصوف من خلال مؤلفات
ابن عربي المرسي. مدريد 1931م.
- 54 - من تصوف ابن عربي: الأحوال، والمنازل، الكرامات. نشر في مجلة
الزهد والتصوف. تولوز (بالفرنسية) سنة 1931م.
- 55 - رد على خطاب السيد أنخيل غونثالث بالنتيا في الأكاديمية الملكية
للتاريخ. مدريد سنة 1931م.
- 56 - ألف / باء يوسف بن الشيخ المالقي، مدريد 1932م.
- 57 - حياة صلحاء (أو أولياء) أندلسيين. مشاهد الأسرار المقدسة Epistola
de la Santidad لابن عربي المرسي (منشورات مدارس الدراسات العربية
بمدريد وغرناطة. سلسلة - ب، رقم: 4. مدريد سنة 1933م.
- 58 - محاسن المجالس لابن العريف (بالفرنسية). باريس Geuthner. سنة 1933م.
- 59 - منارات الإسكندرية ملخص لمقالة باللغة الإسبانية للأستاذ أسين

(1) Angel Gonzalez Palencia من كبار المستعربين الإسبان المعاصرين الذين قدموا خدمات جليلة للتراث الأندلسي ترك مؤلفات
وبحوثاً في تاريخ الفكر الأندلسي وأدبها تزيد على المائة، رغم أنه توفي في مرحلة أوج العطاء (1889-1949م).
(2) وجمع المقال أيضاً في كتابه (الأعمال المختارة) الجزء الأول ص.ص: 217-242. نشر بعيد وفاته سنة 1948-1946م، مدريد. وقام
بترجمته د. الطاهر أحمد مكي في كتابه: دراسات أندلسية: 383-401. ط. أولى دار المعارف 1980م. ثم أعاد نشره مرة أخرى في كتابه
(الأدب الأندلسي من منظور إسباني) ص.ص 146-162 ط. القاهرة 1990م.

- بالتيوس، مع تعليقات معمارية للأستاذ م. لوبيز أرتيرو، ألقاها دوق الببا (أعمال الأكاديمية البريطانية. المجلد التاسع عشر -XIX- لندن 1933م) بالإنجليزية.
- 60 - منارات الإسكندرية. نشر في (أنباء لندن المصورة) لندن 1934م.
- 61 - روحانية الغزالي ودلالاتها المسيحية (منشورات مدارس الدراسات العربية بمدريد وغرناطة) سلسلة - أ، في أربع مجلدات. مدريد 1934-1936م.
- 62 - تعايش الروحانية الإسلامية والروحانية المسيحية. نشر في دفاتر الجنوب (مارسيليا) السنة: 22 المجلد 23: رقم: 175. غشت / سبتمبر 1935م. ص.ص 77-83. خلاصة إلى مدخل روحانية الغزالي ودلالاتها المسيحية. ترجمة إلى الفرنسية السيد M. Baréa.
- 63 - منتخبات أدبية عربية مع شروح معجمية وعناصر لقواعد اللغة. مدريد 1939م.
- 64 - لماذا يحارب المسلمون المغاربة إلى جانبنا⁽¹⁾. مجلة جامعة مدريد المركزية 1940م.
- 65 - ابن السيد البطليوسي وكتابه (الدوائر)⁽²⁾. نشر بمجلة الأندلس

(1) يقصد مشاركة المغاربة في الحرب الأهلية الإسبانية (1936-1939م) تلك الحرب القذرة التي أعلنها الجنرال الدكتاتور فرانكو حين قام بانقلاب عسكري ضد الجمهورية الاشتراكية الإسبانية بمساعدة الفاشية الإيطالية والنازية الألمانية. في حين كانت روسيا الشيوعية تساند الجمهوريين الاشتراكيين الذين سماهم فرانكو وأنصاره بـ(الحمرة) أي الشيوعيين Los Rojos. انظر دراستنا عن الحرب الأهلية الإسبانية، مجلة الفيصل، عدد (مزدوج) 401-402 / 2009.

(2) ابن السيد البطليوسي (ت: 521هـ). والحقيقة أن هذا الكتاب هو (الخدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة) وليس الدوائر كما سماه م.أ.بالتيوس El libro de los cercos. لأن القضايا الواردة في مقال الكاتب هي مضمون كتاب الخدائق (المنشور بمصر 1946م) فالدوائر هو عنوان الفصل الأول فقط. وهو نفس الوهم الذي نجده عند هنري كوربان في كتابه (تاريخ الفلسفة الإسلامية) ترجمة نصير مروة وحسين قبيسي ط. بيروت 1966م ص.ص: 349-350.

- المجلد V ص.ص 154-45. مدريد 1940م.
- 66 - مساهمة في تحديد الأعلام الجغرافية (الطوبونيميا) العربية الأصل في إسبانيا (منشورات معهد بينيتي أرياس مونتانو. مدرسة الدراسات العربية بمدريد وغرناطة. سلسلة - ب، رقم-4 مدريد 1940م ثم نشر في طبعة ثانية مدريد -غرناطة 1944م.
- 67 - المؤثرات الإسلامية في القديس توماس الإكويني، تورميذا، باسكال، سان خوان دي لاكروث. مدريد 1941م.
- 68 - عالم نباتي أندلسي مجهول. مدريد 1942م.
- 69 - رد على خطاب مانويل غومث مورينو مارتنيث في الأكاديمية الملكية الإسبانية بتاريخ 28 يونيو 1942م. مدريد 1942م.
- 70 - أثر قصة المعراج في الكوميديا الإلهية لدانتي، ملحق بتاريخ ونقد لمجادلة (منشورات المجلس الأعلى للبحث العلمي. مدارس الدراسات العربية بمدريد وغرناطة) ط. الثانية. مدريد 1943م.
- 71 - معجم الأصوات الرومانثية. دونها عالم نباتي مسلم- إسباني مجهول في القرنين 11، 12م) مدريد 1943م.
- 72 - رد على خطاب إيمليو غارسيا غومث⁽¹⁾ لدى التحاقه بالأكاديمية الملكية للتاريخ. مدريد 1943م.
- 73 - تاريخ الفلسفة في 3 مجلدات. مدريد 1943م.

(1) شيخ المستعربين الإسبان في القرن العشرين وهو واحد من تلامذة مدرسة (بني كوديرا) ومن تلامذة أسين بلاثيوس نفسه (1905-1995م). انظر دراستنا عنه في مجلة (الحرس الوطني) عدد أكتوبر 1996.

الفصل الخامس

آسين بلاثيوس والأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية

يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي: «كانت قنبلة تلك التي ألقاها آسين بلاثيوس وهو يلقي خطاب استقباله في الأكاديمية الإسبانية في يناير عام 1919م، لما أعلن أن دانتي في الكوميديا الإلهية قد تأثر بالإسلام تأثراً عميقاً واسع المدى يتغلغل حتى في تفاصيل تصويره للجنة والنار، إذ تبين له أن ثمة مشابهاً وثيقة بين ما ورد في بعض الكتب الإسلامية عن معراج النبي صلى الله عليه وسلم، وما في رسالة الغفران للمعري، وبعض كتب محي الدين بن عربي من ناحية وما ورد في الكوميديا الإلهية.. وراح بلاثيوس يعدد نقاط التشابه هذه استناداً إلى المصادر الإسلامية مقارنةً إياها بما ورد في الكوميديا الإلهية، وكل ذلك بعلم غزير ومنهج دقيق»⁽¹⁾

ولكن هذا الرأي الجريء والصريح قوبل بهجوم شديد من طرف الباحثين في إسبانيا وإيطاليا بصفة خاصة، فقد ذهبوا لهذه المقارنة وعز عليهم أن يفجعوا في أصالة عالمهم الكبير (دانتي)، فتصدى لهم آسين بلاثيوس بالحجج والبراهين وذلك في الطبعة الثانية من الكتاب التي صدرت في مدريد سنة 1943م بعنوان: (الأخريات الإسلامية في الكوميديا الإلهية)، وملحق بها تاريخ ونقد ومساجلات. ورأى أن الأصل الإسلامي الذي يمكن أن يكون قد أوحى بفكرة (الكوميديا الإلهية) هو إسراء الله برسوله صلى الله عليه

(1) د. عبد الرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، ص: 49 (الطبعة الثالثة 1979) - دار القلم.

وسلم إلى المسجد الأقصى، وعروجه إلى السماء، وبطل القصة في المعراج هو محمد صلى الله عليه وسلم يحكي بنفسه قصة صعوده إلى السماء كما فعل دانتي في قصته الشهيرة، فيقص ما وقع له وما شهدته أثناءها. وأورد بلاثيوس موازنة بين أوصاف هذه الرياح كما ذكرها الثعالبي في كتاب (قصص الأنبياء) المسمى بالعرائس (طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1324هـ) وأوصافها كما يوردها دانتي في الأنشودة الخامسة من الكوميديا الإلهية:

جحيم دانتي، الأنشودة الخامسة	قصص الأنبياء: ص 40
(49) BRIGA (31) LABUFERA (51) L'AERNERO (89) L'AER PERSO (51) L'AER ... SIGASTIGA (86) L'AER MALIGNO (32) MENAGLISPIRTI CON LA SUA RAPINA (33) VOLTANDO E PERC - TENDO GLIMOLESTA (43) DIGUA, DILA, DIGIU, DI SU GLI MENA (49) PORTATE ALLA DETTA BRIGA (*) ASIN PALACIOS, OP. CIT- P: 151? N°1	السحابة السوداء ريح فيها كشهب النار ريح فيها عذاب أليم الريح العقيم فتحملهم... وتدمغهم حتى هلكوا والرجال تطير بهم بين السماء والأرض فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمي

ونجد في الكوميديا الإلهية كذلك أكلة الربا يحاولون عبثاً أن يصلوا سباحة إلى شاطئ بحيرة من الدم، لأن هناك حراساً جهنميين يزودونهم عنها، ويدفعونهم إلى الغوص من جديد، وهناك حياة مخيفة في أطباق

النار المختلفة، تعذب أهل النهم والأشقياء. والشيء نفسه نجده في القصص الإسلامي حيث يغص الجحيم بالطواغيت وأكله أموال اليتامى والمرابين. أما العطش المجهد الذي يعانيه المزيفون في الطبقة العاشرة من الحلقة الثامنة من جحيم دانتي في الكوميديا الإلهية⁽¹⁾، فهو عذاب شاربي الخمر في الرواية الإسلامية، فقد جاء فيها:

«ثم نظرت فرأيت أقواماً يستغيثون من العطش، فتأتيهم الزبانية بأقداح من نار، فإذا تناولوها سقط لحم وجوههم من حرّها، فإذا شربوها قطعت أمعاءهم وخرجت من أديبارهم، قلت: من هؤلاء؟ قال: شراب الخمر!»⁽²⁾

كما أننا نجد دانتي يتطهر مرتين في أنهار الجنة ثم يلقي (بياتريس). وهذا التطهر بالماء أو (الوضوء) لا تعرفه أوروبا المسيحية، وإنما هو إسلامي صرف. ونجد الغشاشين في الخندق الخامس من الدائرة الثامنة من جحيم دانتي غارقين في بركة من القار، يطعنهم الشياطين بحراب من الحديد كلما طفوا على وجهها، ويقابل ذلك عذاب العاقين والديهم في الرواية الإسلامية «ثم رأيت رجالاً ونساء يعذبون في النار، قد قام عليهم زبانية بمقامع من حديد، كلما استغاثوا يطعنونهم برماح من نار في بطونهم ويضربونهم بسياط من لهب، فلم أر أحداً من أهل الكبائر أشدّ عذاباً، فقلت: من هؤلاء؟ قال: الذين عقوا والديهم. ثم رأيت أقواماً تذبحهم الزبانية بسكاكين من نار، كلما ماتوا عادوا كما كانوا، قلت: من

(1) انظر جحيم دانتي، أنشودة -30 سطور- 49-57 و-81 84 و-102 و-107-106 و-119 و-123.

(2) تاريخ الفكر الأندلسي، أنخيل غونثاليث بالينثيا- مرجع سابق ص: 554.

هؤلاء؟ قال: الذين يقتلون النفس التي حرم الله ظلماً وعدواناً». ويقابل هذا في جحيم دانتي عذاب أهل البدع والضلالات، إذ تطعنهم الشياطين أبداً، ثم يبعثون من جديد ويردون إلى الطعن، وهذا هو عذاب القتلة في جهنم⁽¹⁾.

وكذلك عند الحديث عن الكفار عموماً وكيف أنهم سيلبسون سراويل من قطران وتغشى وجوههم النار، وفي قصة (معراج محمد) المترجمة نرى هذا اللون من العذاب على وجه التحديد في الفصلين الثامن والخمسين والسابع والسبعين حيث توصف الأحجار الكبريتية التي تربط في رقبة المذنب ويلقى معها في نار جهنم فتتقد به في شعلة واحدة تخطف بلمحها الأبصار ويلبس أحد عقارب جهنم المذنبين بسبعين جلد يبلغ سمك كل جلد سبعين ذراعاً وحشو ما بين كل جلد وآخر آلاف الحيات الصغيرة التي تعضه وتنهشه. وهذا هو نفس العذاب الذي يصفه دانتي في الوادي السابع من (الماليبولجي) حيث تطارد اللصوص أعداداً رهيبة من الزواحف المتوحشة تهشم وتبتث السم في أجسادهم حتى تتحلل ثم تتماسك مرة أخرى ليزوقوا سوء العذاب. ومع أن ميغيل آسين بلاثيوس قد ذهب يلتمس نظير هذا العذاب في شتات متفرقة من عناصر التراث الإسلامي إلا أننا نجد مجتمعاً في نص قصة (معراج محمد) المترجمة⁽²⁾.

أما صور الصفاء الروحي التي يمتاز بها فردوس دانتي فنلقاها في بعض صور الرواية الإسلامية: فإن الأحاديث النبوية وأناشيد كتاب الفردوس من

(1) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي - الدكتور صلاح فضل - ص: 123. وتاريخ الفكر الأندلسي، أنجيل غونثاليث بالينشيا ص: 555.

(2) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي - الدكتور صلاح فضل - ص: 125.

قصة دانتي لا تستعمل في أوصاف دار النعيم إلا عناصر ثلاثة وهي: الألوان، والأضواء، والموسيقى، وهي تستعملها في تصوير المقام المثالي غير العادي الذي تمتاز به الحياة المباركة. وكلما انتقل محمد صلى الله عليه وسلم في الرواية الإسلامية - ودانتي في قصيدته - من طبقة إلى طبقة، يزيد الضياء شيئاً فشيئاً حتى يغشى بصريهما ويحسبان أنهما فقدوا البصر، ويرفعان أيديهما إلى أعينهما بحركة غريزية ليقيا أعينهما من النور الساطع، فيعمد (جبريل) في الرواية الإسلامية. وبياتريس في القصة الدانتيية إلى التخفيف عنهما وبث الطمأنينة في قلوبهما، ويسألان الله لهما مزيداً من البصر حتى يستطيعا تأمل الضياء الساطع، فيهبهما الله مزيداً من النور فيتمكنان من الإبصار ولكنهما لا يستطيعان وصف ما يريان (قارن مثلاً قول دانتي في الأنشودة الأولى من الفردوس سطري 128-129: كما ورد عند ميغيل آسين بلاثيوس؛ ص 46).

PAR: III- 128-129

MAQUELLA FOLGORO NELLO MIO SGURADO SI, CHE DA PRIMA
IL VISONOL SOFFERSE

وفي الأنشودة الخامسة والعشرين من الجنة سطور 118-121.

PAR: XXV, 118-121

QUALE E COLUI CH,ADOCCHIA, E S,ARGOMENTA DI VEDER
ECLISSAR LO SOLE UN POCO CHE PER VEDER NON VENDENTE
DIVENTA, TAL MI FEC,IO A QUELL,ULTIMO FUOCO.

وفي الأنشودة الثالثة والعشرين، سطور 28-33.

PAR: XXIII, 28-33

VID,IO SOPRA MIGLIAIA DILUCERNE UN SOL, CHZ TUTTE
QUANTE L,ACCAENDEA, COME FAL NOSTRO LEVISTE SUPERNE:

E PER LA VIVA LUCE TRASPAREA LALUCENTE SUSTANZIA
TANTO CHIARA CHLO MIO VISO NON LA SOSTENEA

بما جاء في الحديث الذي أورده السيوطي في وصف السماء السابعة:
«وأنوارهم شتى لا يشبه بعضها بعضاً، تحار أبصار الناظرين دونهم، فنَبَتْ
عيناى دونهم لما رأت من عجائب خلقهم وشدة هولهم وتلألؤ أنوارهم،
فخالطني منهم فزع شديد حتى استعلتني الرعدة، فنظرت إلى جبريل فقال:
لا تخف يا محمد، فإن الله عز وجل قد أكرمك بكرامة لم يكرم بها أحد قبلك...
فلقد خيل إلي أنى قد نسيت من عجائب خلق الله الذى دونهم، ولم يؤذن لي أن
أحدثكم عنهم، ولو كان أذن لي لم أستطع أن أصفه لكم. ولكن الله تعالى قواني
بذلك برحمته وتمام نعمته، ومنّ علي بالثبات عندما رأيت من شعاع نورهم
وسمعت دوي أصواتهم بالتسبيح، وحدد بصري لرؤيتهم كي لا يخطف من
نورهم. ثم جاوزناهم بإذن الله متصعين إلى عليين حتى ارتفعنا فوق ذلك،
فانتهينا إلى بحر من نور يتلألأ لا يرى له طرف ولا منتهى، فلما نظرت إليه
حار بصري دونه حتى ظننت أن كل شيء من خلق ربي قد امتلأ نوراً والتهب
ناراً، فكاد بصري يذهب من شدة نور ذلك البحر، وتعاضمني ما رأيت من
تلألؤه وأفظعني حتى فزعت منه جداً»⁽¹⁾.

بيد أن النقطة الدقيقة في التشابه بين التراث الإسلامي والكوميديا الإلهية

(1) انظر 5-1 n° 46 p. Op cit. Asin Palacios.

واللائق المصنوعة في الأحاديث الموضوعية، للسيوطي المكتبة الحسينية المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى القاهرة 1352 هـ - الجزء الأول -
ص: 69-68.

فيما يتصل بمهمة الهداة هي أن (بياتريس) تصحب دانتي إلى أمد معلوم في معراجه، ثم لا تلبث أن تتركه عندما يصلان إلى مرحلة محددة ليحل محلها (سان برناردو) وهذا هو نفس ما يحدث للرسول صلى الله عليه وسلم مع جبريل الذي لا يصحبه في المرحلة الأخيرة عندما يصعد للعرش الإلهي⁽¹⁾.

وكلا الدليلين إذا وصلا بزائره إلى سماوات النجوم دعاه إلى تأمل الكون المخلوق وصغره. وصفة المشهد الإلهي في كلا الحالين واحدة. وأشار الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه (دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي) إلى التشابه بين كتاب (المعراج) وبين كتاب (الكوميديا الإلهية) بحيث ركز على النقط التالية نوردها مختصرة:

وجد في كتاب (المعراج) دور الدليل مختلفاً عما ورد في الكتب الأدبية التي عالجت موضوع الرحلة إلى الجنة والنار كان دور الدليل فيها هو بيان الطريق والمناظر. فالدليل هنا هو جبريل الذي يناقش ويحل كثيراً من الشكوك والمعضلات التي يشاهدها النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليس فقط المتعلقة بترتيب العالم الآخر، بل وأيضاً مسائل جزئية في التوحيد والفلك: الجنة بعد يوم الحساب (ص:45) تركيب الجحيم (ص:-135 138) يوم الحساب (ص:162-165) والقيامة (ص189) قسمة اللطف الإلهي بين الأحياء (ص174) توزيع المذنبين في الجحيم (ص:181) المرور على الصراط (ص192-198) مساحة الجنة (ص76) المسافات

(1) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي - صلاح فضل، مرجع سابق - ص:179.

بين الأرض والسموات والمساحات بين السماوات بعضها وبعض (ص: 77-79) مساحات الأرضين (ص: 158) بناء العالم (ص: 66) الأرضون السبع والمحيط (ص: 152-157). كذلك يشير الملك جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم المناظر الرمزية التي تتجلى له طوال الرحلة (الأصوات الثلاثة، ص: 8) الأشربة الأربعة (ص: 131) وكثيراً ما يعتذر النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عن كثرة الأسئلة له (ص: 158-166-174-181-192).

وهذا الدور (الجديد) الذي يقوم به الدليل، ولا يوجد في كل الكتب الغربية التي موضوعها الرحلة إلى العالم الآخر، هو أيضاً الجديد في (الكوميديا الإلهية) فقد استفاد دانتي من صحبة الأدلاء الثلاثة (فيرجيل- وماتيلده- وبياتريس) من أجل إثارة استطرادات غريبة تتناول أسئلة في التوحيد والفلك وشكوكاً تثار ويحلها الدليل. فالتشابه هنا بين الكتابين تشابه واضح كل الوضوح. تشابه آخر بين الكتابين هو اهتمام كليهما بالجغرافية الفلكية وهو أمر لا نجده في الرحلات إلى الآخرة.

تشابه ثالث نبه إليه ميغيل أسين بلاثيوس في كتابه (الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية- ط الثانية ص: 53-50) هو بين نسر السماء في (جنة دانتي) وبين ديك الجنة الإسلامية.

والمعراج نفسه، وهو بمثابة (سلم) يبدأ من عتبة المسجد الأقصى وينتهي عند السماء الأولى في الجنة، وكانت تحيط به الملائكة تحرسه، وعليه صعد النبي صلى الله عليه وسلم في صحبة جبريل وكل الملائكة. وهذا المعراج يشبه الذي وجدته دانتي في سماء زحل، وهو سلم يمتد حتى يبلغ آخر أفلاك الأمبريو.

تشابه آخر أشار إلى شيء منه أسين بلاثيوس (ص:184-180) وهو التشابه بين الصراط في التصورات الأخروية الإسلامية وبين (الأعراف) Purgatorio في (الكوميديا الإلهية) فهذا الصراط هو نوع من (القنطرة) أو (الجسر) أو (العقبة) التي يصعب المرور عليها. و(الأعراف) عند دانتي صراط (طريق) منزلق وعقبات يصعب اجتيازها وصخرة عالية جداً. وقد أبرز أسين بلاثيوس هذا التشابه اعتماداً على وصف ابن عربي للصراط في (الفتوحات المكية ج: الأول ص211)⁽¹⁾.

ويطيل أسين بلاثيوس الوقوف عند الصوفي محي الدين بن عربي، ويذهب إلى أنه من الممكن أن نجد عنده الأصول التي قبس دانتي منها هيئة جحيمه ورتبه على مثالها، وكلا الرجلين -دانتي وابن عربي- يميلان إلى استخدام الهيئة الدائرية أو صورة قبة الفلك، فأطباق الجحيم ومساري النجوم ودوائر الوردية الصوفية وجماعات الملائكة التي تحف بمطلع النور الإلهي، والدوائر الثلاث التي ترمز إلى الثالوث (عند دانتي)؛ كل هذه وصفها الشاعر الفلورانسي كما وصفها الصوفي المرسي، بل إن ابن عربي رسم هذه الدوائر بيده، ويلاحظ أن الرسوم التي خطتها الدانتيون بعد قرون كثيرة ليمثلوا بها أوصاف (الكوميديا الإلهية) تتفق تمام الاتفاق مع ما أورده ابن عربي في فتوحاته من الرسوم. وقد تناول هذا الموضوع العديد من الباحثين في مجالات ثقافية متعددة نذكر منها ما يلي:

(1) انظر ص: 53-54-55-56.

- 1 - مجلة (أبحاث اليرموك) (سلسلة الآداب واللغويات), المجلد الخامس, العدد الثاني (1987).
- (نموذج مبكر للنقد الأدبي المقارن في الثقافة العربية المعاصرة),
قراءة لكتاب قسطاكي الحمصي (منهل الورد في علم الانتقاد), يوسف
أبو العدوس, ص 71 و 72
- 2 - مجلة (العربي), العدد 142 (1970).
- (الأصول العربية للكوميديا الإلهية), د.حسن مؤنس, ص: 38 و 39
- 3 - مجلة دعوة الحق, العدد الثاني السنة الثامنة (1964)
(العنصر الإسلامي في الكوميديا الإلهية), د.عبدالله أنيس الطباع,
ص 25 و 26
- 4 - مجلة (دعوة الحق), عدد مزودج 8 و 9, السنة السابعة (1964).
(موازنة بين الكوميديا الإلهية وقصة المعراج), د.محمد عبدالمك
الكتاني, ص 15 إلى 19
- 5 - مجلة (آفاق عربية), العدد الثالث, السنة الثالثة (1977).
- (قمة الاستشراف الإسباني المعاصر), د.الطاهر أحمد مكي ص 76 و 77
- 6 - مجلة (فصول), الجزء الأول من العدد الخاص بالأدب المقارن,
المجلد الثالث (1983).
- (المصادر الإسلامية في الكوميديا الإلهية), لوسيان بورتويه, ترجمة
ابتهال يونس, ص 198 إلى 201
- 7 - مجلة (العربي), العدد 106 (1967).

(أثر كتاب المعراج على الكوميديا الإلهية)، د. عطا بكري، ص 111 إلى 113
8 - مجلة (فكر وفن) الألمانية، العدد الحادي عشر (1968).
(الشرق والأدب الألماني، بصمات شرقية في الأدب الألماني الوسيط)،
بقلم أئوشبيس، ص 57 و 58

كان آسين بلاثيوس أول من أثار مسألة التأثير الإسلامي في دانتي،
وعالج هذه التأثيرات بالتفصيل، وأثبت نظريته بالحجج والبراهين بما لا
يحتمل الشك، وهوجم كتابه هجوماً عنيفاً، وبخاصة من طرف الدارسين
الإيطاليين، إلا أنه حظي بتقدير كبير بعد ذلك في الأوساط العالمية، وترجم
إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية. إلا أن الشيء الوحيد الذي كان ينقصه هو
«الدليل القاطع على وصول هذه الكتب الإسلامية إلى الغرب في لغة يفهمها
الأوروبيون، وبخاصة إلى فلورانس في القرن الثالث عشر، حيث ولد دانتي
وعاش، لقد كانت الحجة الوحيدة التي ساقها الانتقال المباشر تدعم رأيه
احتمالاً وليس نصاً، وهي رحلة (برونتو لاتيني) أستاذ دانتي وصديقه إلى
إسبانيا عام 1210م سفيراً لبلدية فلورانس لدى بلاط الفونسو العاشر
المعروف بالحكيم ملك قشتالة.. وبعد وفاة بلاثيوس بخمس سنوات أي
1949م اكتشف باحثان، كان كل منهما يعمل مستقلاً عن الآخر أن قصة
المعراج قد ترجمت إلى أكثر من لغة أوروبية، قبل مجيء دانتي إلى الحياة.

لقد اكتشف الباحث الإيطالي (أنريكو تشرولي) أن ثمة كتاباً عربياً يحوي
قصة المعراج أمر ألفونسو العاشر (حكم من 1252 إلى 1284م) إبراهيم
الطليطلي (الحكيم) بترجمته من العربية إلى القشتالي.. وفي العام نفسه

نشر العالم الإسباني (خوسي مونيوت سيندينو) (JOSEMUNUOZ SENDINO) نص الترجمات الثلاث: القشتالية واللاتينية والفرنسية، مع مقدمة وتعليقات، ودفع الباحث الإسباني بالبحث خطوة أوسع إلى الأمام حين وضع يدنا على النص القشتالي، وكان أصلاً للتراجم الأوربية كلها، وقد تمت هذه التراجم الثلاث عام 1264م، أي قبل ميلاد دانتي بعام⁽¹⁾.

«هناك مؤلفات كثيرة في هذا الصدد مكتوبة بالخط العربي الأعجمي AL JAMIADO تجمع المعتقدات الإسلامية حول هذا الموضوع (أدب المعراج)، مضافاً إليها إسهابات موريسكية تشير إلى الحياة الآخرة. لنذكر في هذا الصدد قصة (يوم الحساب) التي تكررت في مخطوطات كثيرة، (مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس رقم 290)، وتصف لنا طريقي الجنة والنار. أو قصة الإسراء بمحمد صلى الله عليه وسلم، والمعراج إلى السماوات، وهي قصة شائعة زائفة مليئة بالخيال غاية في الجمال والشاعرية.

(مخطوط بالمكتبة الوطنية بمديرية 5223-5053) وفيها يصعد النبي صلى الله عليه وسلم على البراق مخترقاً السماوات سماء إلى سماء.

عن مجلة (الثقافة العربية) الليبية، العدد السابع، السنة: التاسعة 1982م. (أدب أواخر المسلمين المجهول في إسبانيا)، ألباروجالميس نبي فونيش A.G.DE FUENTES ص 63 إلى 69

وكان المستشرق الفرنسي (بلوشيه) BLOCHET أول من أشار إلى وجود

(1) مجلة أفاق عربي، عدد: الثالث، السنة الثالثة 1977 (قمة الاستشراق الإسباني المعاصر) د. الطاهر أحمد مكبي، ص: 7.

علاقة قوية بين فكرة دانتي في الكوميديا الإلهية وبين ما جاء في القرآن من وصف الجنة والنار وذلك سنة 1901م، فكتب مقالاً بعنوان: (المصادر الشرقية للكوميديا الإلهية)، مؤكداً أثر الإسلام على آراء دانتي، ولكنه لم يبين آراءه تلك على أسس متينة ولم يقدم البراهين الكافية التي تثبت نظريته⁽¹⁾. كما عرض عدد من الباحثين العرب لتأثير الثقافة الإسلامية والعربية في (الكوميديا الإلهية)، وكان (سليم البستاني) من أول الذين أجروا مقارنة بين (رسالة الغفران) و(الكوميديا الإلهية)، وذلك أثناء ترجمته للألياذة سنة 1904م، إذ قال: «إن من أحسن ملاحم المولدين، ملحمة نثرية جمع صاحبها شتيت المعاني، وأوغل في التصوير، حتى سبق دانتي الشاعر الإيطالي وملثون الشاعر الإنجليزي إلى بعض تخيلاتهما؛ ألا وهي (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري⁽²⁾». وتحدث عبداللطيف الطيباوي في كتابه (التصوف الإسلامي العربي، بحث في تطور الفكر العربي) الذي صدر في القاهرة 1928م، أي بعد نشر الترجمة الإنجليزية لكتاب آسين بلاثيوس سنة 1926م عن تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية، «وقد عالج هذه القضية المقارنة، كما يقتضي سياقه في فصل يقع في ست عشرة صفحة بعنوان (ابن العربي ودانتي)، قدم فيه عرضاً مركزاً للكتاب أقيم على

(1) مجلة العربي، عدد: 106 (1967) أثر كتاب المعراج على الكوميديا الإلهية، د. عطا بكري ص: 111 (مرجع سابق). وانظر مجلة فكر وفن الألمانية، عدد: 11 (1968) مرجع سابق.

(2) انظر مقدمة الألياذة، ترجمة: سليم البستاني، الجزء الأول، ص: 162، دور إحياء التراث، بيروت.

طريقة تحليلية علمية، يكفي أن نقول فيها إن الرأي عدها من عجائب التأليف». فشرح المؤلف مباحث الكتاب الأربعة التي تناولت أولاً روايات الإسراء والمعراج، كمصدر للكوميديا الإلهية والتراث الأدبي والصوفي عند المعري وابن عربي، ثم حل بعض العناصر الصوفية، كما وردت في (الفتوحات المكية) موضحاً مشابقتها لأجزاء الكوميديا، وبحث في القسم الثالث الأفاضل النصرانية والأساطير الأوروبية التي كانت شائعة في العصور الوسطى قبل دانتي، وكانت بدورها مستقاة من مصادر عربية إسلامية. وفي القسم الرابع، وهو على حد تعبير الأستاذ (الطيباوي): «أهم أقسام الكتاب وأدقها بحثاً وأقواها حجة»⁽¹⁾.

وقد تعرض للموضوع من بعد الطيباوي بعض الباحثين العرب، وذلك في مؤلفات مستقلة أو في أبحاث خاصة، نذكر منها ما يلي:

كتاب (بين المعري ودانتي)، عفاف بيضون، 1947.

كتاب (الأدب المقارن)، محمد غنيمي هلال، 1953. وقد تعرض لقضية التأثير الإسلامي في (الكوميديا الإلهية)، وأوضح عمق تأثير بعض المشاهد من وثيقة المعراج في الكوميديا الإلهية.

كتاب (الغفران)، بنت الشاطي، 1964. فصل خاص بالغفران والكوميديا الإلهية.

كتاب (دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي)، عبدالرحمن بدوي،

(1) كتاب تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، د. صلاح فضل، ص: 4 دار الآفاق الجديدة بيروت.

1965. فصل خاص بالمصادر الإسلامية للكوميديا الإلهية.

كتاب (على هامش الغفران)، لويس عوض، 1966. بيّن أن أكبر المؤثرين في بناء الكوميديا الإلهية كانا بحسب الترتيب في الأهمية: (قصة المعراج) ثم (رسالة الغفران).

كتاب (تاريخ آداب اللغة العربية)، جورج زيدان، 1967. فصل خاص عن التشابه بين (رسالة الغفران) و(الكوميديا الإلهية) و(ضياع الفردوس) لملثون، و(أسبقية المعري لهما ببضعة قرون).

كتاب (دراسات مقارنة)، إبراهيم عبدالرحمن، 1975. أورد فصلاً محكماً بعنوان (الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية) تناول فيه تاريخ المشكلة، وعرض أهم عناصرها بدقة شديدة وتوازن كبير، وعقد مقارنة بين الرموز الدينية والاجتماعية عند دانتي ونظائرها في (رسالة الغفران).

كتاب (رحلة الروح بين ابن سينا وسناتي ودانتي)، رجاء جبر، 1977. علاقة الكوميديا الإلهية بالمصادر الشرقية التي عالجت الرحلة إلى العالم الغيبي علاجاً فلسفياً صوفياً.

كتاب (دانتي ومصادره العربية والإسلامية)، عبداللطيف صالح، 1978.

كتاب (المعراج والرمز الصوفي)، نذير العظمة، 1982.

كتاب (تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي)، صلاح فضل، 1985. من الأبحاث الجادة التي تعرضت للمشكلة، فقد حاول فيه أن يستوعب بشكل مباشر المادة العلمية المقارنة التي استخدمت في الدراسات الأوروبية. ويطلع على نصوصها العربية الأصيلة، ويقدم

إعادة ترجمة وعرض لوثققة (المعراج)، التي أصبحت البرهان الأخير في القضية. انظر ذلك بالتفصيل في مجلة (أبحاث اليرموك)، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد الخامس، العدد الثاني (1987).

نموذج مبكر للنقد الأدبي المقارن في الثقافة العربية المعاصرة، قراءة لكتاب قسطاكي الحمصي (منهل الورد في علم الانتقاد)، يوسف أبو العدوس، ص 73 إلى 84.

سيظل كتاب آسين بلاثيوس ونظريته من بين الإسهامات الجيدة في تاريخ الفكر الإستشراقي الموضوعي، حيث فتحت أعين الكثير من الباحثين في الشرق والغرب على ما أسهمت به الحضارة العربية والثقافة الإسلامية في التراث الإنساني بصفة عامة. وإن المرء ليمتلئ تقديراً وإعجاباً لمثل هذا الإنجاز العظيم، وبالروح العلمية الموسوعية التي تناول بها أبحاثه ودراسته ومقارناته، «ولم يكن يتردد في الدفاع عن الموقف الإسلامي في مواجهة مستشرقين أوروبيين آخرين علمانيين، وكان الوحيد الذي وقف في وجه المستشرق الهولندي (دوزي) حين عرض لعفة ابن حزم في حبه وردها إلى أصول مسيحية»⁽¹⁾.

فقد نشر هذا الأخير كتابه (تاريخ مسلمي الأندلس) سنة 1861م وكان قد قرأ مخطوطة (طوق الحمامة) لابن حزم وأفاد منها في كتابه، ووقف مذهولاً إزاء اعترافات ابن حزم العاطفية، ونقل قصة حبه في

(1) مجلة آفاق عربية، العدد الثالث، السنة الثالثة (1977) (قمة الاستشراق الإسباني المعاصر)، د. الطاهر أحمد المكي ص: 74.

لغة فرنسية راقية شفافة ومثيرة، فدفح بها إلى كل ركن في أوروبا، ثم علق عليها في كتابه قائلاً: «يلاحظ دونما شك في القصة التي انتهينا من قراءتها، ملامح عاطفية رقيقة غير شائعة بين العرب، الذين يفضلون بعامة الجمال المثير، والعيون الفاتنة، والابتسامة الآسرة، والحب الذي كان يحلم به ابن حزم يختلط دون ريب بما هو حسي جذاب. وعندما يكون الحبيب المنشود اليوم غيره بالأمس، يصبح الإحساس أقل قسوة. لكن فيه أيضاً ميل إلى ما هو أخلاقي، من رقة بالغة، واحترام وحماسة، وما يأسره جمال رائق وديع، فياض بالكرامة الحلوة، لكن يجب ألا ننسى أن هذا الشاعر الأكثر عفة، وأكاد أقول الأكثر مسيحية، بين الشعراء الملمين، ليس عربياً خالص النسب، إنما حفيد إسباني مسيحي، لم يفقد كلية طريقة التفكير والشعور الذاتية لجنسه. وهؤلاء الإسبان المتعربون يستطيعون أن يهجروا دينهم، وإن يبتهلوا بمحمد بدل المسيح، وأن يلاحقوا بالسخرية إخوانهم القدامى في الدين والوطن، ولكن يبقى دائماً في أعماق أرواحهم شيء صاف، رهيف وروحي، غير عربي»⁽¹⁾.

فانبرى له ميغيل أسين بلاثيوس مفنداً رأيه بالحجة والدليل وذلك في دراسة عميقة وجادة عن ابن حزم القرطبي أوضح فيها أن هذا الأخير

Dozy, R. Histoire des musulmans d'Espagne. Tomo II Pag:263. Trad. Espagnole. BUENOS (1)
AIRES. 1940

لم يخفق في حبه مرة واحدة، بل مرات، ومن هذه الزاوية الجديدة، التي لم يرد دوزي أن يضعها أمام عيني القارئ، بفقد الحب الفتي ليطلعنا، دون شك، درجات من مثالية وأفلاطونية، لكن لا يمكن الإنكار أنه ينطوي على مشاعر رقيقة لم تفقد توهجها بعد، ولا نعرف ما هو حسي، ومصدر ذلك تعاسة مزاجه، أو بمعنى أدق، جاء نتيجة ميل فطري عنده. ويعترف ابن حزم نفسه بأن لديه دائماً قدرة بالغة وعزوفاً عن كل ما هو جنسي. ويرى أن اجتماع الأرواح، وليس التقاء الأبدان هو الذي يبقى على الحب، لقد كانت روحية عشقه حقيقة واقعة، وظل صداها يتردد بعد قرن كامل من وفاته في خمريات الشاعر العربي ابن قزمان القرطبي، وهو يصف لنا سهراته ولياليه الحمراء. لكن ليس صحيحاً أن حبه الأفلاطوني يجب أن يعد شيئاً شخصياً، وطابعاً يتصل بأخلاقه، وأنه استثناء واضح في نفسية الإسلام الإسباني، ذلك أن الحقائق التاريخية في كتابه (طوق الحمامة) وهي مسلم بها وليست موضع شك، لأن مؤلفه يؤكد ذلك حرفياً في مقدمة الكتاب.

كما أن أغلب فصول الكتاب تتكون من روايات معاصرة عن شخصيات تذكر بأسمائها وألقابها، وهي شاهد حي على الجذور العميقة التي بثها الحب الرومانتيكي في الأرواح. وتوجد أسماء خلفاء ووزراء وقواد وشخصيات من أعلى طبقات الارستقراطية العربية، وفقهاء وأدباء وشعراء ورجال، وباختصار من كل الطبقات المثقفة في المجتمع القرطبي، وهم يهتدون في حياتهم الغرامية بهذا الروح المثالي

الراقي نفسه، تشيع البهجة فيهم نظرة عابرة عن فتاة أحلامهم، أو مجرد زيارة شريفة وخفيفة وتقديس يكاد يكون دينياً لما خلف من أشياء وحاجات شخصية يحتفظون بها تذكرة.

إذا لم يكن حب ابن حزم الأفلاطوني وليد عدوى سلالية فحسب أو إنه تلقاه من نفسية أسلافه المسيحيين، لأن من أبطال الغزل الرومانتيكي كثيرين جداً ينحدرون من أصول عربية خالصة، ولا يمكن أن تجري في دمائهم الخصائص الموروثة التي نفترض أنها عند ابن حزم. وأوضح قائلاً: لقد تأثر دوزي بما هو شائع معاد عن حسية الحب عند الجنس العربي، أكثر بما هو حق، وهذه الأفكار المعادة وليدة دراسات جزئية وسطحية وجانبية للأدب الإسلامي، وهي مضطربة، مثلها في ذلك خرافة لا تقل عنها انتشاراً، وهي عجز الجنس السامي عن الدراسات الفلسفية⁽¹⁾.

كان حضور كتاب (طوق الحمامة) قوياً في الأدب المسيحي على امتداد القرن الرابع عشر الميلادي كما ذكر المفكر الإسباني الكبير (أمريكو كاسترو) في كتابه (حضارة الإسلام في الأندلس) حيث يقول: إن كتاب طوق الحمامة «صب في جنس أدبي دون نظير في الأدب الروماني حتى عصر حديث جداً، ذلك الجنس الذي يطلق عليه الاعتراف بالحب أو

(1) قام الدكتور الطاهر أحمد مكي بدراسة هذه القضية كاملة، ومصادرها، وأبدى رأيه في كتابه (دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة) دار المعارف، الطبعة الأولى 1976 ص: 192 إلى 109.

السيرة الذاتية الغرامية... يشرح فيه ابن حزم آثار الحب في نفسه وفي نفس الآخرين، وذلك بشكل بارع وثاقب»⁽¹⁾.

وخلاصة القول فإن أسين بلاثيوس تجرد للعمل بمنهج دقيق، قرأ فأوعى واستفاد وأفاد، قدر أهمية الإسلام الذي فهمه «ككل فهماً عميقاً، وعلى الرغم من معرفته العميقة بالإسلام كنظام نجده يختار أن يتخصص في أفراد بعينهم أو في الحضارة الإسلامية بإسبانيا وما أعطته للحضارة الأوروبية أو استنفاد المصادر الإسلامية الأولى المدفونة في المكتبات القديمة والتي أهملها معاصروه من العلماء.

إن إسهامه في إعادة اكتشاف المصادر الإسلامية يتضح لنا من مدى التوثيق الشاسع الذي يقدمه استشهاده على ما يكتب، كما أن دراساته عن العلاقة بين الحضارة الإسلامية والنهضة الأوروبية قد أسهمت في خلق موقف جديد عند كثير من المستشرقين الأوروبيين، وكذلك أدت إلى قيام الكثير من المناظرات المتأججة.. فكان يتحرى التفكير العلمي، إذ أن طريقته في ترتيب المادة هي طريقة تتسم بالمنهجية الشديدة والعمق، فنجده يقترب من تعظيمه جميع الجوانب المتعددة، والنقد الشديد حين يختار بدقة وعناية المادة ذات الصلة الوثيقة بالموضوع من خلال معرفته الدقيقة بأكبر عدد من المصادر المتوفرة. وكانت

(1) ص: 82، ترجمة سليمان العطار - الدار الثقافية للنشر 2002م.

أسئلة عميقة وتضفي على أعماله روح الأصالة»⁽¹⁾.
لقد أثرى أسين بلاثيوس الفكر الأندلسي وأعطاه كل عمره وبنى
صرحاً قوياً في تاريخ الفكر الأندلسي.
كما أنه عمل على رفض الكثير مما كان سائداً في زمانه بأوروبا
من تصورات وأحكام مسبقة عن الإسلام والمسلمين، فقد دحض
تلك المزاعم التي كانت لا ترى في مجال المعتقد الإسلامي غير توهّمات
وخرافات مثلما لا ترى في ميدان الأخلاق الإسلامية غير تمظهرات
للنزاعات الحسية وإنجازات لها باستمرار وذلك ما أكده في بعض
مؤلفاته، ونكتفي بالتمثيل على ذلك بما جاء في مقالته التي يرجع
فيها قتال المغاربة إلى جانب فرانكو في حربه ضد الجمهورية الإسبانية
(1936-1939) إلى حرب ضد الكفر وضد الإيديولوجية الشيوعية
بالنظر إلى إيمانهم القوي بالله وتشبعهم بالقيم الأخلاقية السامية:

«El Islam no es como el vulgo indocto supone, una
superstición idolátrica en cuanto al dogma, ni un groseño
sensualismo en cuanto a la moral»

Asin Palacios. Miguel, «Por qué cucharón a nuestro lado los
musulmanes marroquíes». Boletín de la universidad de Madrid,

(1) انظر كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، الجزء الأول.
(منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي) الدكتور محمد بن عبود، ص: 379.
صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتبة التربية العربي لدول الخليج.

1940. Reproducido en Obras Escojidas, T. II-III, 1948, 131.

كما أبدى تسامحاً ملحوظاً مع المسلمين، بحيث جعل من الأعلام الإسلامية التي تناولها أساتذة الأوروبيين بالنظر إلى فضلهم الكبير على تاريخ العلوم والآداب الأوروبية خلال القرون الوسطى. لعل هذا هو ما دفع المفكر والمستعرب الكبير (ميغيل دي بالثا) إلى القول بأن ميغيل آسين بلاثيوس قد قطع أشواطاً مهمة في دراسة التأثيرات الإسلامية في النصرانية⁽¹⁾.

وخصصت له شعبة اللغة الإسبانية وآدابها بجامعة القاهرة بالتعاون مع معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ومعهد التعاون مع العالم العربي بمدريد من 11 إلى 14 يناير سنة 1992م؛ أياماً دراسية تكريماً لشخصه واعترافاً بقيمته العلمية، شارك فيها أكثر من ثلاثين باحثاً ومستعرباً من إسبانيا والعالم العربي، وقد تناول هؤلاء مواضيع تختص بحياته الفكرية ودراسة نظرياته العلمية إضافة إلى دراسات عن التراث الأندلسي بصفة عامة⁽²⁾.

(1) انظر كتاب (الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني) الدكتور عبدالواحد العسري ص: 309 (مكتبة الملك عبدالعزيز الرياض، 2003).

(2) انظر نشرة: ARABISMO N°62/ 1992 / P1 Y 4.

.INSTITUTO DE COOPERATION CON EL MONDO ARABE -MADRID



محمد القاضي

- أستاذ متفرغ للبحث والكتابة.
- اشتغل في التدريس مدة أربعين سنة.
- نشرت له دراسات عديدة في مجالات معرفية مختلفة «الأدب الإسباني واللاتيني، الاستشراق، الأندلسيات، الإعلام».
- حصل على الجائزة التقديرية الكبرى على الصعيد الوطني للمخطوطات والوثائق مرتين في 2004 و2007م.
- اهتم بالترجمة عن الإسبانية:
- ترجم ونشر مسرحية لوركا «ماريانا بينيدا» ومسرحية لوبي دي فيغلا «نجمة إشبيلية».
- شارك في لقاءات وندوات ثقافية في الرباط، مراكش، تطوان، جدة، إسبانيا، ليبيا.